الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري- قسنطينة -
كلية الآداب و اللغات
قسم الترجمـــــــة
مدرسة الدكتـــوراه

رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

اندثار ملامح الثقافة الاجتماعية في النصوص المترجمة

- رواية كانديد لفولتير أنموذجا-

مذكرة بحث لنيل درجة الماجستير في الترجمة

إعداد الطالبة:

خلاف ابتسام

تحت إشراف:

عمار ويس

اللجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور:.....جامعة.....رئيسا
الأستاذ الدكتور: عمار ويـــــس جامعة منتوري-قسنطينة مشرفا ومقررا
الأستاذ الدكتور:.....جامعة.....عضوا مناقشا
الأستاذ الدكتور:.....جامعة.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2009/2008

"ميراث العلم خير من ميراث الذهب والفضة

والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ

و لا يستطاع العلم براحة الجسم"
- رواه عبيد الله بن كثير عن أبيه-

العلم بطيء اللزام ** بعيد المرام ** لا يدرك بالسهام **

و لا يرى في المنام ** ولا يورث عن الآباء و الأعمام **

إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس ** و لا تغرس إلا في النفس **

و لا تسعى بالدرس ** ولا يحصل إلا لمن انفق العينين **

و جثا على الركبتين ** ولا يحصل إلا باستناد الحجر **

وافتراش المدر ** وقلة النوم** وصلة الليل باليوم

-الشافعي-

كلمة شكر

" الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه
وزنة عرشه ومداد كلماته"

أولا وقبل كل شيء، نحمد الله تعالى الذي سهل لنا كافة سبل طلب العلم، وهدانا وأوصلنا إلى ما نحن فيه.

قال عز وجل بعد بسم اله الرحمن الرحيم: " وإن شكرتم لأزيدنكم".

وجب الشكر والعرفان لمن احتضننا بأبوة صادقة و تشجيع كبير رغم ثقل مسؤو لياته، شكرا لك أستاذي الفاضل الدكتور عمار ويس على مجهودك الرائع و نصائحك القيمة و توجيهاتك لي، فقد كنت مثالا للأستاذ الذي يحتذى به، و غمرتني بكرمك وصبرك ودعمك.

كما اتقدم بخالص الشكر و عظيم الإمتنان للأستاذ الفاضل زين الدين بن موسى على مساهماته بتزويده لي بمراجع و نصائح أضاءت لي الدرب، فهو لم يبخل علي يوما لا بوقته و لا بجهده، وكان خير من دفعني و حملني على الجادة.

أشكر لكم هذا الشكر الوفير المتزايد و الذي يعبر عن نفس شاكرة لله أولا فزادها بالشكر نعيما غير منقطع.

شكرا لمن لزم العلم و ا بتغاه سبيلا إلى الله فأحبه الله و شكر له صنيعه.

أتوجه بالشكر إلى كل أساتذتي الذين شرفني حضور درسهم خلال الطور النظري. وإلى أعضاء الإدارة الموقرين لما رأيت منهم في السراء و الضراء.

لكم مني كل الإحتـــــــــــــــــــــــــرام

إهداء

إلى منارة فكري و دربي الذي كانت أمنيته أن يرانا نرتقي سلم المعرفة و النجاح، إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

إلى شمعة حياتي الأزلية...إلى من بذلت النفس و النفيس من أجلنا...إلى من أهدتني الوصل وربتني وليدة وسقتني من حنانها...إلى أمي الغالية حفظها الله.

إلى من بهم أشد أزري ...إخوتي حفظهم الله و رعاهم.

إلى جميع أفراد أسرتي كل باسمه...أبقاهم الله ذخرا.

إلى كل أساتذتي دون استثناء

إلى كل صديقاتي و زملائي الذين قاسموني أجمل مرحلة دراسية و أروع تجربة مهنية.

إلى أخي محمد طوالبية حفظه الله

إلى كل طالب علم يسعى لرقي بلده

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

مقدمـــــــة

يندرج موضوع بحثنا ضمن الدراسات الترجمية في مجال الثقافة، تحت عنوان:

" اندثار ملامح الثقافة الاجتماعية في النصوص المترجمة"
- رواية كانديد لفولتير أنموذجا-

وقد تم اختيار هذا الموضوع لما له من أهمية، و تكمن أهميته في :

- أن الموضوع يفرض نفسه للدراسة لأنه من قلب واقعنا المعاش، فاختلاف اللغات و ثقافات المجتمعات جعل الترجمة ضرورية لتمكين هذه المجتمعات من التواصل فيما بينها، ولكن هذا الاختلاف زاد في الوقت ذاته، من صعوبتها.

-إن الهوية الثقافية و الذاتية و نسبية العملية الترجمية من أحدث المواضيع التي تناولها هذا القرن، و هي إشكاليات نتجت من الاختلاف الثقافي، و عمق الهوة بين المجتمعات، وصراع الحضارات عند التقاءها والتي تواجه المترجم باعتباره وسيطا بين لغات الثقافات و المجتمعات. فكا ن لابد من التطرق إليها و التعرض لها بالدراسة المعمقة مواكبة لموضوعات العصر، وسعيا لإضفاء طابع الحداثة على مواضيع الترجمة ، فلا يقتصر درس الترجمة على تكرار ما قد قيل منذ شيشرون، في الوقت الذي يقطع فيه قطار التقدم شوطا كبيرا.

- إن انفتاح ميدان الترجمة على مجالات البحث الأخرى جعلنا نستفيد كثيرا من تجربتها الميدانية و دراساتها المعمقة في مجال اختصاصها. فالترجمة ميدان متعدد الاختصاصات **(un domaine interdisciplinaire)** وقد مكنها ذلك من الإطلال على مجالات علمية وإنسانية عديدة.

وفي بحثنا الحالي تنسج الترجمة علاقات مع مجال الانثربولوجيا والاثنوغرافيا، و هو مجا ل أشهرما يقال عليه أنه المجال الإنساني الأكثر علمية والمجال العلمي الأكثر إنسانية.

- تجدر الإشارة إلى أن الأنثربولوجيا و الإثنوغرافيا و الإثنولوجيا لا يقصد بهما ثلاث مجالات بحث مختلفة وإنما ثلاثة مراحل زمنية من مجال بحث واحد هو الانثروبولوجيا الثقافية.

- لقد أكسبنا استغلال الدراسات الإثوغرافية في مجال الترجمة رؤية جديدة للعالم الذي نعيش فيه، وابستمولوجية مثمرة ، و إمكانية لحل مشاكل الترجمة السوسيو الثقافية على المستويين النظري و التطبيقي، بعد أن ثبت أن الروابط بين العلمين قوية جدا و لا تكف عن التضاعف منذ الأربعين سنة الأخيرة.

في بحثنا الحالي، نسلط الضوء على إشكالية يطرحها التقاء الثقافات المتباعدة، تكمن في تشتت ملامح المجتمع جراء ترجمته إلى ثقافة مجتمع آخر،إن لم نقل تشوه الملامح و اندثارها لأن هذا ما يحدث في أغلب الأحيان. فنقل بنية مجتمع تحكمه طبقات عدة و يتنوع فيه الخدم والحشم إلى مجتمع آخر بدوي لا يعرف إلا رجلا واحدا تولى إليه أمور الفصل في قضايا المجتمع يشكل تحديا للمترجم. كذلك الأمر بالنسبة لعادات و معتقدات و أعراف مجتمع ما وعلاقة القرابة فيه وطرق الملبس والمأكل و الحياة الرمزية والممارسات الدينية و كيفية فهمه للحياة و تعامله مع بيئته الزمنية و المكانية، وطريقة تنظيمه للوقت في تقويم يقدس أياما دون أيام أخرى و طرق إلقاء التحية و ما إلى ذلك من طرق التعامل داخل مجتمع ما أمور تكون ترجمتها إلى مجتمع آخر في غاية الصعوبة.

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاث فصول رئيسية و قسمنا كل فصل إلى ثلاث مباحث.

- تعرضنا في الفصل الأول من البحث إلى دراسة مفصلة للغة من حيث أنها ظاهرة اجتماعية تؤثر في الأفراد وترتبط وظيفيا بالأنظمة الاجتماعية الأخرى متبادلة و إياها التأثير والتأثر .

*في المبحث الأول من هذا الفصل عرضنا وظائف اللغة داخل المجتمع واستعمالاتها من طرف الناطقين بها في شتى شؤون حياتهم الاجتماعية، ثم تطرقنا إلى تطور النظام اللغوي تبعا لتطورالشؤون الاجتماعية، حيث تنشأ في اللغة ألفاظ لم تكن موجودة من قبل تلبية للحاجة إلى تسمية مستحدث اجتماعي جديد،مخترع مادي أو مفهوم جديد.وتنحرف كلمات عن مدلولها الأصلي و تهجر كلمات كانت مستخدمة و تنقرض أخرى كما تقتبس ألفاظ من لغات أخرى.

*في المبحث الثاني من الفصل الأول درسنا علاقة اللغة بالفكر والدين.

فعن علاقتها بالفكر، خلصنا إلى أن اللغة هي الواقع المباشر والمادة الطبيعية للفكر،و أن الفكر يعلن عن نفسه بواسطة الألفاظ واللغة تطبع الفكر بطابعها المميز و بطابع ثقافتها النوعية.

و عن علاقتها بالدين فهي الأخرى علاقة تأثير و تأثر. فخصائص المجتمع العقلية، ومميزاته في الإدراك والوجدان و النزوع و تفسيره لظواهر الكون و فهمه لما وراء الطبيعة كل ذلك ينبعث صداه في لغته كما أن الدين قد يغير مدلول الكلمات و يضيف دلالات جديدة إلى اللغة السائدة و يحافظ على وجود اللغة التي تمارس بها طقوسه. و للغة كذلك تأثير في الدين فهي تدفع المفكرين و الكتاب إلى إنتاج روائع للدفاع عنه ونشره، وتبليغه للآخرين.

* تناول المبحث الثالث من هذا الفصل علاقة اللغة التكاملية بالثقافة والحضارة فاللغة أقوى مكونات الثقافة والوعاء الحافظ لها، كما أن الثقافة تطور اللغة و تثريها بالمفردات و المعاني بما تحققه من اختراع في جوانبها المادية (الحضارية) و سمو في الإنتاج الفلسفي، و الفكري، والأدبي.

لقد فصلنا القول بخصوص النظام اللغوي داخل المجتمع و علاقته بالأنظمة الأخرى لما لذلك من أثر في توضيح الدور الذي تلعبه اللغة داخل المجتمع وتقصي أثر هذا الدور عند ترجمة مظاهر المجتمع إلى لغة أخرى.

- خصصنا الفصل الثاني من البحث لدراسة ترجمة مظاهر الوسط السوسيو ثقافي.

*تناول المبحث الأول من الفصل الترجمة الثقافية و القضايا التي تنجر عن التقاء الثقافات. فالاختلاف الثقافي يشكل مكمن صعوبة الترجمة و لا يمكن تجاوزه أحيانا دون خسارة في المعنى و إفقار للثقافة، كما أن المسافة الثقافية هي عقبة أخرى في طريق المترجم الذي يسعى بكل الطرق إلى ضبطها و تسويتها بغية تقليص الهوة الثقافية التي نشأت أساسا من الاختلاف الثقافي. هذا الأخير يطرح قضية أخرى من أحدث قضايا العصر هي قضية الهوية الثقافية للشيء المترجم. ذلك أن الترجمة إذا أفقدت الشيء هويته فإنها لم

تترجمه و إنما هدمته

- في المبحث الثاني من هذا الفصل، استعنا بميدان آخر من ميادين البحث و الدراسة هو ميدان الاثنوغرافيا لخدمة قضايا الترجمة الثقافية، فالاثنوغرافيا تزودنا بالوصف الشامل الدقيق لثقافة المجتمع المراد ترجمته، ثم بينا نقاط التشابه بين المترجم و الاثنوغرافي، فكلاهما مترجم لتجربة ،عاشها الأول من خلال نصه و الثاني من خلال إقامته على أرض الواقع داخل المجتمع المدروس. وإلى حاجة كليهما إلى كونه مزدوج الثقافة لا مزدوج اللغة فحسب. لكن صعوبة إخراج هذا المبدأ إلى أرض الواقع و التطبيق يجعلنا نسلم بنسبية النشاط الترجمي و مبدأ الذاتية سواء تعلق الأمر بترجمة النص الأصلي إلى لغات أخرى أو بكتابة اثنوغرافية ، فكل من المترجم و الاثنوغرافي له تأثيره الخاص في بناء ثقافة المجتمع، وعمل كل منهما يعكس ذاتية صاحبه وأسلوبه الشخصي المعتمد في مقاربة الترجمة، و ردود الأفعال المختلفة تجاه نفس النص، أو في التعامل مع نفس الواقع.

- أما في المبحث الأخير من هذا الفصل فقد عرضنا مقاربات لمنظرين و مترجمين شتى بهدف التقليل من صعوبات ترجمة مظاهر الوسط السوسيو ثقافي و لضمان أقصى حمولة للشحنة الثقافية أثناء الترجمة.

يقترح **لادميـــرال** المقاربة الثنائية**'Théorème de dichotomie'** كحل للإشكالية وما تعلق بها.

- وفقا لهذه المقاربة يواجه المترجم خيارين اثنين إذا لم يجد مكافئا لعنصر ثقافي ما في اللغة الهدف .

*الإختيار الأول : أنه يضيف شحنة زائدة إلى اللفظة ويترجمها باعتماد ما يسميه **لادميرال** **'surtraduction'** باللجوء إلى **'la parolisation'** وفقا للمعادلة:

X(Lo)→ Y+ (Lt)

*الاختيار الثاني : أنه يقلل من الشحنة الدلالية للكلمة ، أي أنه يستعمل كلمة من الثقافة الهدف أقل منها من حيث الشحنة الدلالية. معتمدا بذلك ما يسميه **"sous traduction"** باللجوء إلى **" la périphrase"** وفقا للمعادلة:

X(Lo)→Z - (Lt)

تقترح **ماريان لودريـــــــر** إجراءين : أحدهما **التوضيحL'explicitation**، فحسب لودر ير، يجب أن توفر ترجمة الثقافة مقدارا ملائما ومتوازنا بين **'l'implicite** والصريح **'L'explicite**، ذلك أن الضمني

التوضيح ينقل ،قدر المستطاع، الكم الثقافي المعتمد في النص الأصلي، ويعرف القارئ بالمرجعيات الثقافية الخاصة بالمجتمع الأصلي. والإجراء الثاني هو **السياق** الترجمي الذي من شأنه أن يقدم شروحات تدريجية. فكل سطر يقدم للقراء كما من المعلومات الجديدة حول عادات المجتمع، يفهمها القارئ، و يعقد مقارنة بينها وبين معارفه السابقة لنفس النوع من المواقف ليضيفها إلى زاده المعرفي العام .

و يقترح **أنطوان برمـــــان** ما يطلق عليه **'تسنيد الترجمـــة'L'étayage de la traduction**، الذي يقصد به تضمين الترجمة وثائق غير ترجمية (بحوثا تاريخية ، مقالات نقدية، مقدمات، ملاحقا، معاجما، ملاحظات...إلى غير ذلك. بهدف تزويد القراء الجدد بدليل يمكنهم من استيعاب ثقافة المجتمع الأصلي.

يتوافق جملة من المترجمين على استخدام **الملاحظات التفسيرية والحواشي** أو **الهوامش** لتعويض القصور،و الجهل بالثقافة الأصل ، لأن عدم تأويل العادات و المظاهر الاجتماعية يؤثر أحيانا سلبا على الفهم و يسقط بذلك الترجمة و يحول بينها و بين أداءها لمهمتها.

يدعو إلى هذه الطريقة كل من **جون سفري، جون بيار ريشار، بول سان بيار** و المترجم الصيني **هوانغ اكزينمو**

'أما **آني بريسيـــه** فهي تدعو إلى **المحافظة على الغرائبية** 'L'altérité عند ترجمة الثقافة الاجتماعية ولا تردد في إبداء **رفضها** القاطع **لتكييف** ثقافة المجتمع الأصل لثقافة المجتمع الهدف، مؤكدة أنه من الخطأ الاعتقاد أن إخفاء الآخر، و الاستحواذ عليه أمر ضروري لترجمته.

- الفصل الأخير من البحث خصصناه للتطبيق و قد اخترنا رواية"كانديد أو التفاؤل" مدونة لتطبيق ما تم

التطرق إليه خلال الفصلين النظريين.

-اشتمل الفصل التطبيقي بدوره على ثلاثة مباحث.

قمنا في المبحث الأول بتقديم المدونة و تقديم الشخصيات، ثم ملخص الرواية لتسهيل تحليلها في المبحث -

الثاني.

- تطرقنا بعدها في المبحث الثاني إلى دراسة تحليلية ، صنفت على إثرها مظاهر الوسط السوسيو ثقافي التي تضمنتها الرواية إلى: الطبقات الاجتماعية، العادات والتقاليد، الملبس ، المسكن، وحدات القياس، النقود، المعتقدات الدينية و الفلسفية.

- ننتهي في المبحث الأخير من الفصل الثالث بدراسة نقدية لهذه المظاهر، و إبداء مناطق النقص فيها و محاولة تقويضه.

انتهجنا في بحثنا هذا **المنهج التحليـــلي النقـــدي** لتحليل مظاهر الثقافة الاجتماعية التي وردت في رواية فولتير "كانديد" ثم نقدها.

- وقد اعترضتنا في مرحلة انجاز البحث صعوبات جمة نذكر منها:

* صعوبة الحصول على المراجع خاصة و أنني لم أكتفي فقط بالمراجع الأولية ، ثم لأنني طرقت ميدانا آخر خلال الدراسة إلى جانب مجال الترجمة، فكان إلزاميا التنقل بين الجامعات الجزائرية للحصول على أكبر عدد ممكن من الكتب و المراجع، و الجامعات و المجلات الأجنبية من خلال الإنترنت.

* تشعب الموضوع في حد ذاته إلى مواضيع جزئية عديدة، فحاولت تقديم أكبر كم ممكن من المعلومات آخذة في الحسبان الحجم المعمول به عادة في رسائل الماجستير،و عامل الوقت.

هذا وبعد أن كتب للبحث أن يخرج إلى النور بفضل الله عز و جل أولا، و المجهودات المبذولة في سبيل ذلك، لا أدعي أبدا أنني قد وفيته الدراسة التي يستحقها من كل الجوانب و لكن أقول أنني بذلت فيه جهد

الطالب المجتهد الذي إن اجتهد و أصاب فله أجرين و إن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، وأشكر الله عز وجل على ذلك وأتوجه بالشكر الوفير إلى أساتذتي الذين كان لهم السبق في تزويدي بما احتجت إليه من نصائح و معلومات و أخص بالشكر أستاذي و مشرفي الدكتور عمار ويس الأستاذ الحريص على أداء مهمته على أكمل وجه.

والأستاذ الفاضل محل الاحترام و الثقة ، مثال طالب العلم و العالم المجتهد في آن واحد، و أقصد بقولي هذا الأستاذ زين الذين بن موسى.

شكرا جزيلا لكما.

الفصل الأول

اللغة والمجتمع

الفصل الأول : " اللغة والمجتمع"

- تمهيـد :

- المبحث الأول : وظيفة اللغة وتطورها في المجتمـع

- المبحث الثاني : علاقة اللغـة بالفكـر والديـن

- المبحث الثالث : علاقة اللغة بالثقافة والحضارة

- الخاتمة

تمهيـــد :

تعد اللغة من أبرز الخصائص المميزة للكائن البشري عن غيره من المخلوقات، لذا جاء في أهم تعاريف الإنسان أنه " حيوان ناطق" و "حيوان اجتماعي". فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في إتباعه، ويتخذونه أساسا للتعبير عن حاجاتهم وعما يجول بخواطرهم.

ليست اللغة من الأمور التي يصطنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنما تأتي نتيجة لطبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار. فكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعليم والمحاكاة، كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى، ويصب أصواته في قوالبه ويحتذيه في تفاهمه وتعبيره (1).

إن اللغة إذن ظاهرة اجتماعية لا تأتي إلا عن طريق العيش في مجتمع إنساني، وأكبر دليل على ذلك هو "فقدان اللغة لدى الأطفال الذي وضعوا في عزلة تامة عن البيئة الاجتماعية (بغرض إجراء التجارب عليهم) لفقدانهم العيش في المجتمع الإنساني الذي يعتبر المعلم الأول، والوحيد للغة، والذي يوفر لها الشرط الثاني للوجود والبقاء " (2) كما أن محاولة أي فرد الخروج عن النظام اللغوي، بأن يخترع لنفسه لغة يتفاهم بها، تعد ضربا من ضروب العبث العقيم، إذ لن يجد من يفهم حديثه كما سيجر لنفسه آلاما ومتاعب تحول دون فهم الآخرين لما يريد التعبير عنه. كل ذلك يثبت أن اللغة ظاهرة من إنتاج الاجتماع وحده، وهي ملازمة للإنسان طيلة حياته كوسيلة للتواصل مع أبناء جنسه، وتنشأ من تفاعل الأفراد فيما بينهم بكيفية تلقائية مستقلة عن إرادة بعضهم بعضا.

سيتناول هذا الفصل دراسة اللغة من حيث أنها ظاهرة اجتماعية أو شبه نظام اجتماعي (*) يؤثر في الأفراد ويرتبط وظيفيا مع الأنظمة الاجتماعية الأخرى متبادلا وإياها التأثير والتأثير بمقادير متفاوتة، ذلك أن للغة دورا تؤديه في المجتمع كما أن للعوامل الاجتماعية الأخرى أدورا تؤديها إزاء اللغة فتؤثر فيها وتتأثر بها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر.

---

(1) علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة 1971، ص 04.

(2) أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق(في الجائر والعالم العربي)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981،الجزائر

(*) يجدر التنبيه إلى أن النظم الاجتماعية المحددة أكاديميا : كالأسرة، التربية، والدين ، والاقتصاد، و السياسة،... لا تتضمن اللغة كنظام اجتماعي،واللغة تصنف أكاديميا في عداد الظواهر الاجتماعية، غير أن قوة هذه الظاهرة ترشحها لكي تكون أشبه بالنظام الاجتماعي إلى حد بعيد.

إن النظم الاجتماعية هي عبارة عن قواعد تنسق حياة الجماعات وتسهل تفاعل الأفراد فيما بينهم، وتقف سدا منيعا أمام الهزات المفاجئة التي قد تهدد كيانه أو تعصف به، هذه النظم هي التي يتألف من دراستها موضوع علم الاجتماع la sociologie وأهم خصائصها مايلي :

1. أنها تتمثل في نظم عامة يشترك في إتباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساسا لتنظيم حياتهم الجمعية، وتنسيق العلاقات التي تربطهم ببعض .

2. أنها ليست من صنع الأفراد، وإنما تتأتى من طبيعة الاجتماع، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات، ومقتضيات العمران. وهذا هو ما يعنيه علماء الاجتماع إذ يقررون أنها من " نتائج العقل الجمعي ".

3. أن خروج الفرد على أي نظام منها يلقى من المجتمع مقاومة تأخذه بعقاب مادي أو معنوي، أو تلغي عمله، أو تحول بينه وبين ما يبتغيه من وراء مخالفته وتجعل أعماله ضربا من ضروب العبث، أو تسلط عليه أكثر من جزاء واحد من هذه الجزاءات (3).

4. أن النظام الاجتماعي شديد التداخل مع غيره من النظم الأخرى في المجتمع الواحد، وليس موجودا بمعزل عن التأثير والتأثر، بل يترابط ويتساند مع غيره من النظام التي ترجع في أصلها هي الأخرى إلى منبع واحد هو المجتمع.

5. أن النظام الاجتماعي ليس واحد من حيث النوع، والقوة، والضعف، في جميع المجتمعات، فكل مجتمع لديه نظم معينة تختلف مع غيرها من نظم المجتمعات الأخرى في درجة الضعف والقوة.

6. أن النظام الاجتماعي يخضع دوما لعمليات الحراك الاجتماعي وديناميات التطور، والتغير الدائمين، فهو يتجدد، ويقوى ، ويضعف مع متطلبات المجتمع ومقتضيات حياته المتغيرة مع الزمن. (4)

بمطابقة هذه الخصائص على اللغة نجدها تنطبق عليها تماما إذ تمتاز اللغة بـ :

- **العمومية** حيث يشترك كل أفراد المجتمع في إتباع قواعدها ويتخذونها وسيلة التواصل والتفاهم فيما بينهم.
- **التلقائية** فهي ليست من صنع فرد آو أفراد معينين بل تبرز من تفاعل الأفراد بعضهم مع بعض في الحياة الاجتماعية كما أن أي شخص مهما أوتي من العبقرية والقدرة على الاختراع لا يستطيع أن يوحد لغة بمفرده، وحتى لو أمكن له وضع لغة فلن يجد من يتفاهم معه من أفراد مجتمعه بهذه اللغة، ولعل فشل الدكتور **Zamanhof** (5) في وضع لغة عالمية (*) لخير مثال على ذلك.

---

3) علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، 1971، ص 03.
(4) أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص 69.
(5) عبد القادر الكرماني، اللغة والتجدد، المطبعة العلمية، حلب ،1938، ص 8-16.
(*) تسمى هذه اللغة Ispiranto وقد كونها هذا الطبيب البولندي من مزيج من المفردات الرومانية والانجليزية ووضع لها حروفا عددها (28) حرف وقواعد عددها (16).

- تمارس اللغة على الأفراد نوعا من الضغط، فكل خروج عن قواعدها وصيغها المتعارف عليها يعرض صاحبه إلى شتى أنواع العقوبات المادية والمعنوية.
- أن اللغة شديدة التداخل، والتبادل للتأثير مع غيرها من النظم الاجتماعية. فللنظام الديني تأثير على اللغة، وللنظام السياسي تأثير، وكذلك الاقتصادي، وغيرهم من الأنظمة.
- ليست اللغة واحدة من حيث النوع ، والقوة والضعف، ونسبة الانتشار. فلكل لغة طابعها الخاص ومفرداتها المحددة من حيث الكم تختلف من مجتمع لأخر.
- اللغة دائمة التغيير تبعا للتحولات التي تعتري البناء الاجتماعي ككل. فهي تقوى، وتضعف، وتزدهر، وتموت بحسب مقتضيات الحال والظروف التي تستجد مع صيرورة الحياة.

هكذا تمثل اللغة احد النظام الاجتماعية الأساسية التي نشأت مع الحياة الاجتماعية منذ الخليقة، وإن خلت بعض المجتمعات من بعض النظم الاجتماعية الأخرى فإنها لا تخلو أبدا من النظام اللغوي، لأنه شرط لتشكل المجتمع ولقيامه.

ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية وجود ترابط وثيق بين النظم الاجتماعية، ونعني بالترابط بين النظم : تأثير بعضها في البعض الأخر، أي تبادل التأثير فيما بينها بمقادير متفاوتة داخل المجتمع الواحد، كما يظهر الترابط بين النظم أيضا في تأثير نظم بعض الأمم في نظم أمم أخرى، وذلك عن طريق الاحتكاك الحضاري، أو الفتوحات أو الغزوات الفكرية أو العسكرية، كتأثير الحضارة المصرية القديمة في الحضارة اليونانية، في مجال الفنون والعلوم... وقد اتسعت دائرة التأثير أكثر من أي وقت مضى مع تقدم وسائل المواصلات وتطورها كما وكيفا... فلقد قربت هذه الوسائل الهوة الثقافية بين المجتمعات المختلفة، وجعلت نظمها الاجتماعية تتبادل التأثير فيما بينها بكيفية ملحوظة، ويظهر ذلك خصوصا في النظام اللغوي و الثقافي، وفي المأكل والملبس، والمسكن، والعادات والتقاليد والسلوك، والتفكير. ونخلص من هنا إلى أن النظم الاجتماعية مترابطة فيما بينها، ومتكاملة ،ومتساندة وظيفيا، ذلك أنها تنبع من طبيعة واحدة هي الطبيعة الاجتماعية، وتهدف إلى غايات واحدة هي تأمين المجتمع، والحرص على المحافظة على كيانه، ويفيدنا هذا الترابط إفادة كبيرة في دراسة الظواهر ، والنظم الاجتماعية وتحليلها، لأن هذه النظم لا تعيش في معزل عن بعضها، ولكنها تتكامل وظيفيا في الأسرة الاجتماعية. (6)

---

(6) أحمد بن نعمان، مرجع سبق ذكره، ص 74.

المبحث الأول : وظيفة اللغة وتطورها في المجتمـع :

يقول ابن خلدون أن "اللغات ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع" (1) فاللغة عند ابن خلدون وسيلة للتوصيل والإبلاغ عن مقاصد ومعان كامنة في النفس والذهن كما يقول الأستاذ " **جفنز Jevens** "مساعد آلي للتفكير ووسيلة لتسجيل الشيء والرجوع إليه مرة أخرى (2). غير أن " **مالينوفسكي Malinowski** الذي كان له الفضل الكبير في تغيير النظر إلى النظام اللغوي،وتحديد وظيفته، يصرح بأن دراسته للمجتمعات لن تصح دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع، ومفاد رأيه أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التوصيل... بل أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، أي أنها جزء من السلوك الإنساني أو أنها ضرب من العمل (3) ، والأمثلة التي تثبت ما ذهب إليه مالينوفسكي عديدة نذكر منها :

1. المونولوج **Monologue** : كالقراءة الانفرادية وتدوين الملاحظات التي يقصد بها الكاتب نفسه والحديث الداخلي الذي لا يقصد من وراءه التبليغ بل التنفيس عن الكرب.

2. استعمال اللغة في الصلاة والدعاء ومناجاة الله ، أو أية كائنات أخرى مقدسة ،فكل ذلك سلوك إنساني أكثر مما هو نقل للفكر.

3. استعمال اللغة في بعض ضروب السلوك الاجتماعي كالتحيات ولغة التأدب... وهذا الاستعمال للغة هو صورة من صور العمل الاجتماعي ووسيلة من وسائله، ذلك أن من طبيعة الكائنات البشرية أن تجد في نفسها الميل إلى الاجتماع ببعضها البعض، والاستمتاع بصحبة الغير واللغة من أقوى المستلزمات لتحقيق هذا الميل. (4)

4. اتخاذ اللغة وسيلة إلى اللعب بالأصوات عند الكبار أو الصغار بغية التلذذ والانتشاء لا أكثر، ومثال ذلك: الغناء وترديد كلمات وعبارات لا يقصد من وراءها إلا التمتع بأصواتهم، كما عبرت عن ذلك الكاتبة الفرنسية **Mme. De Steïl** بقولها عن الفرنسية "... إنها ليست كما هي عند غيرنا مجرد وسيلة لتوصيل أفكارها، وإحساساتها، وشؤونها ولكنها آلة يحب الإنسان أن يلعب بها، وهي تحرك النفوس كالموسيقى عند أقوام والخمور القوية عند أقوام آخرين" (5) وهذا القول ينطبق على كل اللغات.

---

(1) عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ص 476
(2) محمد السعران، اللغة و المجتمع، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1958، ص5
(3) المرجع ذاته، ص 7.
(4) احمد بن نعمان، المرجع ذاته،ص78.
(5) عبد الرحمان البزاز: هذه قوميتنا، دار القلم، القاهرة، د.ت، ص 99

5. تستعمل اللغة أيضا كغطاء جميل لإخفاء مقاصد الناس، ويظهر ذلك في كلام اللصوص والخارجين عن القانون عموما،إذ يستعملون اللغة لإخفاء أفكارهم الحقيقية.

وهناك من العلماء من يرى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على التعبير عن أفكار المرء ووجداناته وإنما تستعمل أيضا لإثارة أفكار ووجدانات عند السامع، **ف ثورندايك Thorndike** مثلا يرى أن أهم وظيفة للغة من الناحية الاجتماعية هو ما تحدثه من أثر لدى السامع أو الملتقي، بمعنى إحداث استجابة تبعث على سلوك معين عند من توجه إليهم اللغة، سواء أكانت هذه الاستجابة إثارة أفكار أو وجدانات غيره، أم دفعه للقيام بفعل من الأفعال (6) فهي إذن – أي اللغة – خاضعة لقانون المنبه والاستجابة علما أن المنبه هو الكلمات والاستجابة هي السلوك اللغوي الناتج عنها.

وخلاصة القول أن وظيفة اللغة من الناحية الاجتماعية لا يمكن أن تحصر في كونها وسيلة للتعبير، أو وسيلة نقل الأفكار من المتكلم إلى السامع (7)، وإنما هناك إلى جانب هذا النقل استجابة السامع وتلبيته سلوكيا – لأثر ما أدركه من كلام، كما تكمن وظيفة النظام اللغوي أيضا في أنه يجعل من المعارف والأفكار الإنسانية قيما اجتماعية نتيجة استخدام المجتمع للغة، للدلالة على معارفه وأفكاره، والحفاظ على التراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل، وتعليم الفرد وتمكينه من تكييف سلوكه ، وضبطه ، ليناسب تقاليد المجتمع الذي يعيش فيه، وليتفادى بذلك العواقب التي تلحق بالفرد إذا حاول الخروج عن الأنظمة الاجتماعية الضابطة في مجتمعه. (8)

بهذا تسقط النظرية التي تقصر وظيفة النظام اللغوي على توصيل الفكر، أو التعبير عنه، فهي لا تمكننا من أن نحلل جميع أنواع السلوك اللغوي...

وحري بناء إذا أردنا معرفة وظيفة النظام اللغوي أن ننظر إلى الأدوار التي تقوم بها اللغة في حياة الفرد كما سبق... وفي حياة الجماعة التي لا يربط بين وحداتها رباط أقوى من النظام اللغوي. واللغة من حيث أنها نظام اجتماعي فهي تنشأ وتتطور (9) متأثرة بحضارة الأمة ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرتها إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامة أيما تأثر، فكل تطور في ناحية من هذه النواحي يترك بصمته في أداة التعبير، ولهذا تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب، فبالوقوف على المراحل التي مرت بها لغة ما، ومن خلال الخصائص التي ميزتها في كل مرحلة، يمكن التعرف على الأدوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم.

(6) محمود السعران، المرجع السابق، ص 10.

(7) عاطف وصفي، الانثربولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر، 1975، ص 140-141.

(8) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني المدخل إلى علم الاجتماع، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1967، ص 349 – 350

(9) محمد عطية الابريشي، لغة العرب وكيف ننهض بها، مكتبة النهضة المصرية، 1947، ص 168-169

وكلما كانت الحضارة راقية وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، كلما اتسعت لغتها، وكثرت مفرداتها للتعبير عن مستحدثات الحضارة، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقت معانيها، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة.

إن انتقال الأمة من طور البداوة إلى طور الحضارة يهذب اللغة، ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها، ويزيل ما سعى أن يكون بها من خشونة، ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة. وإن موازنة بين حال اللغة العربية في عهد بداوة العرب قبل مجيء الإسلام وحالتها في عهد الحضرة الإسلامية، أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية في عصر ما وما كانت عليه في الحضر في نفس هذا العصر لأصدق برهان على ذلك، وإن البدوي الذي لم يلهمه شيطانه في مدحه للأمير أحسن من قوله :

أنت كالكلب في حفاظك للعهـ ـد وكالتيـس في قـراع الخطـوب

قد استطاعت قريحته، بعد أن هذبتها حضارة بغداد، أن تجود بمثل قوله :

عيون المها بين الرصافة الجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا ادري (10)

واللغة مرآة تعكس حالة الناطقين بها في شتى شؤون حياتهم الاجتماعية. فعقائد الأمة وتقاليدها، وما تخضع له من أسس في القضاء والتشريع والأخلاق العامة وحياة الأسرة، وميلها إلى الحرب أو جنونها إلى السلم، وما تعتنقه من نظم في مجال الموسيقى والرسم والتصوير والعمارة والنحت وسائر الفنون الجميلة، كل ذلك يضفي على اللغة طابعا خاص في جميع مظاهرها، الصوتية والدلالية والأسلوبية والنحوية والتركيبية.

فمخاطبة الفرد بضمير الجماعة تعظيما له " تقبلوا مني ... أرجو أن تتفضلوا... "، وتوجيه الخطاب في صيغة الغائب: " ليتفضل سيدي..." ، كل ذلك وما إليه من أساليب التبجيل لا يبدو في اللغة إلا إذا كثرت الفوارق بين الطبقات، كذلك الصراع في اللغة الفرنسية بين (tu) أنت و (vous) أنتم، وفي اللغة الاسبانية بين (tu) أنت و (Usted) أنتم، مرده إلى انحراف الناس عن مبدأ المساواة وظهور الطبقات الاجتماعية. هذه الفوارق لم يكن لها وجود في زمن كانت الشعوب أكثر ميلا إلى المساواة بين الأفراد، فساد في خطاباتهم ضمير المفرد، ولم تبدو في لغتهم مظاهر المبالغة والتبجيل، وقد سار القرآن الكريم على هذه الطريقة حتى في توجيه الخطاب إلى **الله عز و جل.**

---

(10) علي عبد الواحد وافي ، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة ،1971، ص 10

غير أن الشعوب ومنهم العرب بعد اتساع ملكهم، واحتكاكهم بالأمم الأخرى، وانغماسهم في الترف، حاكوا أبهة الفرس وأساليبهم في العيش، وترفع أغنيائهم عن الدهماء من الشعب وطبقات المستضعفين، لم يلبثوا بعد أن انحرفوا عن مبادئهم حتى انحرفت معهم أساليب لغتهم. وهذا مثال آخر على أن اختلاف الطبقات في بعض الأمم، وما يفصلها من فوارق في مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، يؤدي إلى التمييز بينها في المفردات التي تطلق على شؤون كل طبقة منها." ففي اللغة الفرنسية مثلا يطلق لفظ خاص على كل من دخل المسكين، والخادم وعامل اليومية والعامل الدائم، والممثل والصحفي والقسيس، والجندي، والضابط، والموظف غير الحكومي، والموظف الحكومي، وصاحب المهنة الحرة كالطبيب والمحامي والمالك الزراعي ومن إليه، والمساهم في شركة ما،والنائب البرلماني... (11).

فكل مفردة يشير أصلها اللغوي إلى عمل الطبقة التي يطلق على دخلها ومنزلتها قياسا إلى غيرها من الطبقات فيقال :

"Les secours d'un indigent, les gages d'une domestique, la paye d'un journalier, le salaire d'un ouvrier, les feux d'un acteur, les mensualités d'un journaliste, le cusuel d'un curé , le prêt d'un soldat , le solde d'un officier, les appointements d'un employé, le traitement d'un fonctionnaire , les honoraires d'un médecin ou d'un avocat, les rentes d'un rentier, les dividendes d'un actionnaire, l'indemnité d'un parlementaire….etc.".

وكثيرا ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم وتكوين مجتمعاتهم، وما يوجد بين الجماعات من فروق في الخواص النفسية، والاجتماعية، والثقافة ،والتربية، ومناحي التفكير والوجدان، وحياة الأسرة، والتقاليد والعادات... فمثلا درجة القرابة التي تربط الفرد بكل من أسرة أبيه وأسرة أمه، فإن الأمم التي تسير نظمها الاجتماعية على إنزال هاتين الأسرتين منزلة واحدة في درجة قرابتها للفرد تطلق لغتها تسمية واحدة على كل من العم أو الخال بالفرنسية **oncle**، و الانجليزية **uncle**، والعمة والخالة **aunt, tante**، وابن العم أو العمة وابن الخال أو الخالة **cousin** وابنة العم أو العمة وابنة الخال أو الخالة **cousine**، على حين أن الأمم التي تفرق نظمها الاجتماعية بين هاتين الأسرتين في درجة قرابتهما للفرد تختلف في لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عن الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأم: العم، الخال، العمة، الخالة، ابن العم ، ابن العمة،ابن الخال ، ابن الخالة، بنت العم ، بنت العمة، بنت الخال، بنت الخالة (12).

---

(11) علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق ذكره، ص 14.

(12) علي عبد الواحد وافي، الأسرة والمجتمع ، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط 06، ص 27 – 28.

إن ما يكون عليه الأفراد في نظرتهم إلى الحياة واتجاهاتهم ينبعث صداه في لغتهم وتراكيبها. فنظرة الانجليز واتجاههم إلى الناحية العملية قد صبغ لغتهم بصبغة مادية، حتى أنه يقال فيها: " دفع زيارة أو تحية أو شكرا أو انتباها " و " انفق وقته في كذا وكذا " و " تربح الساعة أو تخسر ".

"To pay a visit, compliments, attention…." , " How can I pay you for all your goods " ," He spent his time in…" , " The watch gains or loses"

بدلا من" أدى زيارة" و "قدم تحية أو شكرا" و"أبدى انتباها" و"قضى وقته في عمل ما" و "الساعة تقدم وتؤخر" (13).

- وتبعا لتطور الشؤون الاجتماعية يتطور مدلول الكلمات في اللغة فينحرف هذا المدلول قليلا أو كثيرا عن أوضاعه الأولى. من أمثلة ذلك في اللغة العربية كلمة " قطار " التي كانت تطلق في الأصل على عدد كبير من الإبل تستخدم في السفر، وأصبحت اليوم تطلق على مجموعة عربات متتالية تقطرها قاطرة بخارية. وكلمة "بريد" كانت تطلق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل وأصبحت تطلق على النظم والوسائل المتخذة لإيصال الرسائل في عصرنا الحالي وبذلك تغير مدلولها وفقا للطرق المستخدمة لهذه الغاية. كذلك كلمة الريشة **Plume** كانت تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير مدلولها الأصلي تبعا لتغيير المادة المتخذة منها آلة الكتابة، وصارت تطلق على قطعة من الحديد مشكلة بطريقة خاصة.

- كما يمكن أن تنشأ كلمات لم تكن موجودة في اللغة من قبل، وتهجر كلمات كانت مستخدمة فيها أو تنقرض كليا من نطاق الحياة الاجتماعية. فعن الأولى يمكن أن تقضي الحاجة إلى تسمية مستحدث اجتماعي جديد:نظام حديث في الشؤون الاجتماعية، نظرية جديدة ، مخترع مادي جديد... فيدعو ذلك إلى نشأة كلمات في اللغة. وعن الثاني أي الهجر أو الانقراض، فإن انقراض كلمة من الاستعمال يرجع إلى انقراض مدلولها نفسه من مجال الحياة الاجتماعية. وينطبق هذا على الملابس والأثاث ووسائل النقل وآلات الصناعة وعتاد الحرب والنقود والمقاييس وأشكال النشاط والنظم الاجتماعية التي لم تعد سارية المفعول أو بطل استخدامها فاختفت معها الكلمات الدالة عليها. فقد انقرض في عربية ما قبل الإسلام (الجاهلية) كلمات المرباع والصرورة والنوافج (14).

---

(13) علي عبد الواحد وافي، الأسرة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبعة، 1971، ص 15.

(14) المرباع ربع الغنيمة، كان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية، والصرورة الذي يدع النكاح تبتلا، والنوافج الإبل تساق في الصداق.

وانقرض في الفرنسية مفردات منها :

Casaquin, Soupente, Corvette, Frégate, brûlot, arpent, écu, liard….

-إن كثرة استخدام المفردة في مدلول معين، لحدوث ما يدعو إلى ذلك في المجتمع، يجردها مع تقادم العهد من مدلولها الأصلي لتصبح حكرا على المعنى الذي كثر فيه استخدامها. من ذلك كثرة استخدام العام في حالات خاصة، يشيع فيها استعماله، تكسبه معنى خاصا، وكثرة استخدام الخاص في معان عامة توسع مدلوله، وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي يحول هذا المعني إلى معنى حقيقي.

-فكثرة استخدام العام مثلا في بعض ما يدل عليه، لسبب اجتماعي، يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله. من أمثلة هذا النوع في العربية جميع الألفاظ التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر الدينية: كالصلاة و الحج والصوم والركوع والسجود وغيرها، فالصلاة معناها في الأصل الدعاء كما ورد في قوله عز وجل: " **وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** " . ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادات المعروفة لاشتمالها على مظهرين من مظاهر الدعاء، فصارت لا تنصرف عند التلفظ بها إلى غير هذا المعنى. والحج معناه في الأصل قصد الشيء والاتجاه إليه، ثم شاع استعماله في قصد بيت الله الحرام، حتى أصبح مدلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشعيرة. وكلمة الرث التي كانت تطلق على الخسيس من كل شيء، ثم قصر مدلولها على الخسيس مما يفرش أو يلبس لكثرة استخدامها في هاتين الناحيتين.

-وكثرة استخدام الخاص في معان عامة لسبب اجتماعي ما توسع بمرور الزمن ذلك المعنى الخاص وتكسبه العموم. من ذلك في اللغة العربية مثلا كلمات : **البأس والورد والرائد والنجعة** (15)، فالبأس في الأصل الحرب، ثم كثر استخدامه في كل شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه. والورد أصله إتيان الماء فقط، ثم تطور معناه وعم لكثرة استخدامه فصار إتيان كل شيء وردا. والرائد في الأصل طالب الكلأ ثم أصبح طالب كل حاجة رائدا، والنجعة في الأصل طلب الغيث، ثم عممت فصار كل طلب انتجاعا. وكلمة **arriver** في الفرنسية فقد كانت تدل في الأصل – كما تشير بينتها – على الوصول إلى الشاطئ أو إلى الضفة ، ثم شاع استعمالها في كل وصول، فاستقر معناها على هذا المدلول وأصبح عاما.

وكثرة استخدام المفردة في معنى مجازي لسبب أو ضرورة اجتماعية، غالبا ما يؤدي إلى زوال المعنى الحقيقي ليحل المعنى المجازي محله، من ذلك مثلا كلمات :

---

(15) علي عبد الواحد وافي، المرجع ذاته، ص 20-22.

المجد والأفن و الوغي و الغفران، ففي اللغة العربية تعني في الأصل "كلمة المجد" امتلاء بطن الدابة بالعلف، ثم كثر استخدامه مجازا في الامتلاء وكثرة الكرم حتى انقرض معناه الحقيقي وأصبح المعنى المجازي حقيقة. كذلك انتقل معنى "الأفن" من قلة لبن الناقة إلى قلة العقل، وانتقل معنى "الوغى" من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها، ومعنى "الغفران" و "الغفر" من الستر إلى الصفح عن الذنوب.

-ويتطور النظام اللغوي في المجتمع نتيجة احتكاكه بنظام لغوي في مجتمع أخر، ولما كان من المتعذر أن تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى، كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق،وخاصة عندما يتجاور النظامان أو يوجدان في بلد أو منطقة واحدة حينما يسكن الشعبان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين فتقوى العلاقات التي تربط الشعبين بما يتيح لها فرص الاحتكاك المادي والثقافي ، فالانجليزية قد أخذت عن النورماندية أكثر مما أخذته عن أية لغة أخرى، لأن الغزاة النورمانديين قد أقاموا في بلاد الانجليز المغلوبين. كذلك اللاتينية فقد اقتبست من الإغريقية أكثر مما اقتبسته من أي لغة أخرى نظرا لتجاور منطقتيهما وشدة الامتزاج بين الشعبين الناطقين بهما. ولهذا السبب ذاته بلغت درجة التبادل اللغوي ذروتها بين العربية والفارسية والتركية.

ومن ثم نرى أن المفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل تلك اللغات أو برزوا فيها أو امتازوا بإنتاجها أو بكثرة استخدامها وأخذها منهم أو اعتمد عليهم فيها أهل هذه اللغة. فمعظم ما تنقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية يتصل بنواح مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان وأخذها عنهم العرب : (**الأبريق ، الطست، الخوان، الطبق، السكرجة، الديباج، السندس، الياقوت، الفيروزج، البلور، السميد، الكعك، الفلفل، الكرويا، القرفة، الزنجبيل، النرجس، البنفسج، السوسن، الجلنار، المسك، العنبر، الكافور، الصندل،...**)، كلها كلمات اقتبسها العرب من الفرس، أما أشهر ما أخذته العربية من اليونانية أسماء بعض آلات الرصد والجراحة ومصطلحات الطب والفلسفة والمنطق وعلوم الطبيعة والموازين والأمتعة... كالقبرس (وهو أجود النحاس) ، والقيطون (وهو البيت الشتوي)، والقنطرة، والفردوس (البستان)، والقراميد (الأجر)، والقسطاس (الميزان)، والقنطار، والبطاقة، والسجنجل (المرآة) وغيرها. (16)

(16) عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار أحياء الكتب العربية، ج 1، د.ت، ص 122 – 124.

أما الألفاظ التي أخذتها الانجليزية من النورماندية فيتألف معظمها من كلمات دالة على معان كلية وألفاظ تتصل بشؤون المائدة والطهي والطعام، لان النورماديين فاقوا الانجليز في هاتين الناحيتين. فكثيرا ما يلاحظ في الانجليزية تسميتان للحيوانات المأكولة اللحم عندهم: اسم ساكسوني الأصل على الحيوان ما دام حيا لا علاقة له بشؤون المائدة **Cheep, calf, ox, pig**، واسم أخر مقتبس من النورماندية يطلق عليه بعد ذبحه وإعداده للغداء **Mutton, veal, beef, pork**.

وقد أخذت اللغات الجرمانية عن اللاتينية كثيرا من المفردات المتصلة بالقضاء والتشريع ونظم الاجتماع والسياسة... ، وذلك لأن الرومان برزوا في جميع هذه الشؤون. ولهذا السبب كذلك انتقل إلى الفرنسية كثير من الكلمات الجرمانية المتصلة بشؤون الحرب ومنها كلمة الحرب نفسها la guerre فهي مأخوذة من الكلمة الجرمانية القديمة werra، وكثيرمن الكلمات الايطالية المتصلة بالموسيقى وآلاتها والفنون الجميلة، وانتقل إلى اللغات الأوروبية الأخرى المفردات الفرنسية المتعلقة بالأزياء وألوان الطعام والكلمات الانجليزية المتصلة بالألعاب الرياضية (17).

ومن مسميات الحضارة العصرية أدخل : التلفزيون، والراديو ، والبيروقراطية، والإيديولوجية، والديمقراطية، والبلوريتاريا، والتلفون. (18).

وبهذا نخلص إلى أن النظام اللغوي في تطور وتغير مستمر يؤثر فيما عداه من النظم الاجتماعية الأخرى، ويتأثر بها وفق ما تتطلبه ظواهر الاجتماع وتدعو إليه مقتضيات العمران وتبعا لقوة حضارته أو ضعفها، أو قوة وضعف حضارة اللغة التي يحتك بها.

(17) علي عبد الواحد وافي، المرجع ذاته، ص 27-28
(18) أحمد بن نعمان، المرجع ذاته، ص 82

المبحث الثاني : علاقة اللغة بالفكر والدين :

اللغة والفكـر :

سبحان الذي منح الانسان عقلا يفكر به وأودعه جهازا يفصح به ويبين.

يمتاز الإنسان عن سائر الحيوانات بالفكر والقدرة على التصور والتخيل والتحليل والتركيب. وإذا نظرنا إلى بعض الطيور والقردة والكلاب فإننا ربما سنجد في بعضها وخاصة التي خضعت للتدريب سلوكا ينم عن شيء من الذكاء والفكر ولكن ليس في الدرجة التي استطاع الانسان المفكر أن يبلغها من التطور الفكري العظيم مما يجعل مجرد المقارنة لا تصح. والشيء الذي يميز الانسان عن سائر الحيوان هو أنه ناطق معبر عن كل ما يريد من أفكار لديه على حد تعبير أرسطو " **الإنسان حيوان ناطق**" وفسر الناطق بالمفكر، وهنا نميز بين إشارات الانسان والحيوان فنجد الإشارات عند الانسان ناتجة عن فكر فهو يعرف إلى ماذا يشير وعن ماذا يعبر بالإشارة، أما الحيوان، فالإشارة عنده ناتجة عن اندفاع غريزي. وهكذا نجد أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الفكر.

لقد منح الانسان جهازا صوتيا مميزا عن سائر الحيوانات، فمهما بلغ رقي الجهاز الصوتي لدى الحيوانات فإنه لن يصل إلى حد النطق والكلام ومهما حاولت بعض القردة وأنواع الشامبانزي أن تصدر أصواتا فهي بالتالي عاجزة عن النطق وإن تمكنت بعض الطيور كالببغاء من النطق وتقليد الأصوات فإنها لن تتمكن أبدا من إنشاء جمل تعبر بها لانعدام الفكر الراقي لديها.

إن تحديد الروابط بين الكلام المسموع وبين الفكرة الهائمة في أفاق النفس البشرية يعتبر من أشد المباحث تعقيدا، ولما كانت اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره وما يدور بخلده وهي الوسيلة للتفاهم والتعامل مع أفراد المجتمع ولما كان الفكر المعبر عنه بهذه اللغة في تغير مستمر نتيجة للمؤثرات الخارجية ونتيجة للتقدم العلمي والتقني وتطور رقي المجتمعات وظهور المخترعات، فلا بد أن تساير اللغة تطور هذا الفكر الذي تعبر عنه، إذن فعلاقة الفكر باللغة علاقة وطيدة ويمكننا القول هما وجهان لعملة واحدة كما يقول العالم **دولاكروا Delacroix**

" إن الفكر يصنع اللغة في نفس الوقت الذي يصنع فيه من طرف اللغة". (19)

والفكر كما نعلم، هو ذلك الوعاء الذي يحتوي التصور والتخيل والذاكرة، والذكاء، ومحرك الفكر هو الذكاء، والذكاء عند الإنسان لا يبلغ درجة الكمال إلا عندما يصبح عقلا ونشاطا تجريديا يستعمل المفاهيم والتصورات بواسطة اللغة. فالفكر لا يستطيع أن يعبر عن شيء إلا بواسطة اللغة. لأن الله منح الإنسان فكرا وجهازا لغويا، فوظيفة الفكر التفكير ووظيفة الجهاز اللغوي النطق والتعبير ولا يكون ذلك إلا بلغة.

(19) أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الإسكندرية 1985، ص 17.

وقد جاء في تعاريف اللغة أنها "التعبير اللفظي عن الفكر سواء كان داخليا أو خارجيا". (20)

وأنها " وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية إطلاقا لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية ".

وأنها "الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها، أو خصائصها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووضعها في تركيب خاص".

لا تخلوا هذه التعاريف على اختلافها من الإشارة إلى علاقة اللغة بالفكر، حيث أنها الوسيلة التي توصل الأفكار أو تعرب عنها إلى الغير، كما عرفها الفيلسوف **لالاندر Lallandre** بأنها "جملة من الإشارات يمكن أن تكون وسيلة للاتصال" (21)، وذلك لأن الإشارات وحدها لا تكفي للتعبير عما يدور في خلد الإنسان، ونجد الحيوان يستعمل الإشارات في التعبير عن أحواله – كرقصات النحل التي تشير بها إلى مكان الغذاء المكتشف – ولكن الإنسان له لغة يكمن وراءها الفكر وهو محرك الإنسان، والغريزة هي محرك الحيوان.

ونجد أن سلوك الصم والبكم ينم عن تفكير سليم يتضح معه أن الإنسان بإمكانه استعمال لغة الإشارات للتعبير عن أفكاره، غير أن لغة الإشارة وإن كانت وسيلة من وسائل التعبير خاصة وأن لغة الكلام كثيرا ما تستعين بها لجعل التوصيل أوضح وأسهل، إلا أنها عاجزة كل العجز – بمفردها – على أن تعبر عن الأفكار والوجدانيات التي تكمن في نفس المتكلم. كما أن الإنسان لا يستطيع أن يعبر بالإشارة خاصة في الظلام.

فالكلمات إذن أرقى وسيلة للتعبير عن الأفكار من الإشارة والحركة، لأنها وسيلة أكثر مطاوعة في الاستعمال، وأقدر على التعبير عن أسماء الأجناس والصفات والعلاقات المعنوية، من غيرها، ذلك أن الألفاظ لا تقابلها صورة ذهنية فقط، بل تقابلها أفكار ومعان أعمق بكثير، في أغلب الأحيان لا يمكن التعبير عنها بالحركة أو الإشارة.

---

(20) أحمد بن نعمان، المرجع السابق ذكره، ص 85
(21) أحمد عبد الرحمن حماد، المرجع السابق ذكره، ص 18

ودليل ذلك أننا لو تصورنا شخصا أخرس يريد أن يعبر لنا عن كونه جوعان أو عطشان، ويريد أكلا أو ماء، فإن تعبيره عن ذلك باستخدام الإشارة أمر مقدور عليه ومفهوم، ولكن لو فرضنا أنه يريد أن يخبرنا بأنه يعاني من أعراض نقص بعض الفيتامينات دون غيرها أو أن عليه تناول بعض الأغذية بعينها وبكميات متفاوتة، فإن لغة الإشارة لن تحقق له الإفهام الذي يصبو إليه، وأنها وإن عبرت فلن تعبر عن كل ما في نفس الشخص كما تفعل لغة الكلام. إن الإنسان لا يمكن أن يفكر بدون لغة أيا كانت هذه اللغة وليس هناك أدنى شك بأن التفكير يقتضي في اغلب الحالات استعمال اللغة.

ونجد الإنسان يبتدع ألفاظا ينوعها فتتميز بناءا على ذلك الأشياء، والظواهر، والماديات، والمعنويات، ثم يختزنها لتكون في النهاية مؤنته من المعرفة، وعدته لتبادل ما يعرف مع غيره. والذي يدفع الإنسان إلى ذلك هو أنه يعيش في مجتمع هو بحاجة إلى أن يتبادل معه الأخذ والعطاء، فقيمة اللفظة في الحقيقة هو بمقدار ما تقدمه هذه اللفظة من وضوح وانتشار بين الناس.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ **سيبرمان Spearman** "إن الألفاظ اللغوية قوالب تنظم مدركاتنا الكلية مثلها في ذلك مثل المعدن المصهور الذي تصنع منه النقود فهو غير قابل للاستعمال إلا بعد صبه، وإذا ما صب في قوالب صار المعدن عملة رسمية لها قيمتها القانونية في الاستعمال" (22)

كما يقول الدكتور **ظاظا** " يتبين أن اللفظة في الكلام تشبه إلى حد كبير ورقة النقد في الاقتصاد " (23)، إذ لابد أن تغطيها قيمة اقتصادية من الذهب أو غير ذلك من القيم المصطلح عليها وبدون هذا الغطاء فإن الورقة النقدية لا تخرج عن أن تكون قصاصة من الورق لا حول لها ولا قوة، وكذلك فإن اللفظة أو الكلمة المسموعة أو المكتوبة التي لا تدل على دلالة معينة والتي لا تعطي معنى معينا فإن هذه اللفظة لا قيمة لها وتظل بالنسبة للأفراد مجرد ضوضاء لا تولد في العقل شيئا، فالمحتوى الفكري لألفاظ هذه اللغة أو تلك يظل ملكا خاصا لمن يستعملون هذه اللغة فقط وهو يختلف عن الفكر المطلق المستقل عن اللفظ فهو ملك للإنسانية جميعا.

يتبين لنا من الناحية المبدئية أن التفكير سابق على اللغة، فكثيرا ما تنبثق الفكرة في أذهاننا، ونبقى نبحث عن العبارات التي تؤديها كما أن استعمالنا لأكثر من لغة واحدة للتعبير عن المعنى الواحد يكشف لنا

---

(22) عبد العزيز عبد الحميد، اللغة العربية، دار المعارف، 1961، ط3، ج1، ص 39.
(23) أحمد عبد الرحمن حماد ، المرجع السابق ذكره، ص 24.

عن أسبقية الأفكار بالنسبة للوسائل اللغوية التي نعبر بها (24)، كما أن الطفل يولد يفكر ثم يكتب لغة ولا يولد بلغة ثم يكتسب الفكر، والفكر هو الذي يؤهله لاكتساب اللغة، غير أن أسبقية التفكير من الناحية الزمانية لا تقتضي أسبقية من الناحية العملية بالنسبة للفرد الذي يعيش في وسط اجتماعي وحتى الطفل الذي يؤهله الفكر لأن يكتسب اللغة فإنه يكتشف أفكاره في العبارات التي يستعملها، وكذلك الشخص السوي الكبير بعد أن يتعلم اللغة، لا يستطيع أن يفكر بدون لغة، فإذا كان المعنى يؤخذ من العبارة فإن العبارة ليست إلا وجود خارجيا للمعنى.

إذن فليس التفكير ظاهرة داخلية كما يزعم البعض، والذي يوهمنا، بوجود تفكير بدون لغة إنما هي الأفكار التي يمكن استحضارها أثناء الصمت، والواقع أن هذا الصمت الظاهري إنما هو كلمات وألفاظ، وقد ذهب **واطسن** في ذلك إلى التوحيد بين اللغة والفكر ورأى أن الفكر ليس شيئا أكثر من الكلام الذي بقي وراء الصوت، إنه كلام الحنجرة لا الصوت. وعندما يفكر الإنسان فإنه يتكلم بالرغم من أن هذا الكلام لا يسمع (25)، فاللغة إذن تفكير بصوت عال، كما يقول **مارلوبونتي: "**إن الفكر لا يوجد خارج العالم وبمعزل عن الكلمات، وما نقع فيه من وهم يجعلنا نعتقد بوجود فكر لذاته قبل التعبير، إنما الأفكار التي انتظمت من قبل وعبر عنها من قبل هي التي نستطيع أن نستدعيها إلينا في صمت وبها نوهم أنفسنا أن لنا حياة داخلية بغير لغة، والحقيقة أن هذا الصمت الظاهر يعج بالكلام. وهذه الحياة الداخلية هي لغة داخلية" (26).

ولا حظ **سابير** أن أشكال لغتنا تهبنا سلفا بعض أشكال الملاحظة والتأويل، وعزز **ماكس ملر** هذا الاعتبار مشيرا إلى أن الميتولوجيا أي الخرافة هي "مرض لغوي"، فعندما نقول مثلا أن الشمس تحاول اختراق الغيوم، وان الرياح تهز الأشجار، وأن الأشجار تنحني تجاه الرياح فإننا نقع في عادات لغوية تهيئنا لتشخيص هذه الأشياء الجامدة، خصوصا عند الأطفال، ما أطلق عليه **بياجيه** "الميل التجسيدي" وهذا ما يؤدي مباشرة إلى نمو الأساطير.

إن اللغة تؤثر في طبيعة الفكر كما أن الفكر يؤثر في طبيعة اللغة، وكما أن اللغة نتيجة للتفكير لدى الفرد المتحدث، فهي في الوقت ذاته تبعث على التفكير لدى السامع والتفكير لدى السامع يعقبه تعبير عنه للغير، ومن هنا تكون اللغة والفكر دائرة متصلة الحلقات تبدأ بتأثر الفرد بما ينتقل إليه المجتمع من أفكار، فيعمل فيه عقله ثم يعبر عن تفكيره فيه إلى المجتمع بواسطة اللغة. فاللغة ناقلة للأفكار عنه وإليه، وهي بذلك سبب للتفكير ونتيجة له، وإننا لن نصل أبدا إلى تقرير أي من اللغة أو الفكر، قد سبق الآخر ولكن الصواب أن الفرد يولد في محيط له ثقافة خاصة، سيفكر بالاعتماد على مفردات تتصل بوسيلة التعبير

(24) أحمد عبد الرحمن حماد ، المرجع السابق ذكره، ص 19

(25) أحمد عبد الرحمن حماد ، المرجع السابق ذكره، ص 20

(26) عثمان أمين، اللغة والفكر، محاضرات معهد الدراسات العربية العالمية، 1967، ص 28

الشائعة في جماعته وإن طبيعة تفكيره بالتالي ستكون متأثرة بذلك ونحن عندما نريد دراسة الطريقة التي يفكر بها أي شعب من الشعوب فإننا ندرس لغة هذا الشعب.

وفي هذا المعنى يقول الفيلسوف الألماني **هاردلي Hardly** "إن لغة الشعب تمثل في كل الأحوال روح الشعب نفسه... فلغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر و الثقافة والتاريخ والفلسفة والدين" (27).

فلولا اللغة التي تصل أفكار الأجيال بعضها ببعض لضاعت أفكار البشر منذ الخليقة وتجددت الحياة البدائية للمجتمعات جيلا بعد جيل.

ويقول **دونلاب:** " عندما ندرس بنية اللغة في شعب ما فإننا ندرس صور وطرائق تفكيره، وعندما ندرس مفرداتها فإننا نكتشف نماذج مميزاته، فإذا زعمنا بأن اللغة هي تبلور فكر الشعب فإن قولنا هذا بعيد عن أن يكون خلاف الحقيقة" (28).

لذا فاللغة تمثل الوجود الفكري للإنسان وهي التي تنقل أفكار الأجيال السابقة وتراثهم، فهي الوسيلة الوحيدة التي تسجل تلك الأفكار وتحفظها وتنقلها بأمانة له، ليطلع عليها ويضيف إليها وتبقى الفكرة ككرة الثلج التي تزداد كلما ازدادت تدحرجا (29).

إن اللغة كما سبق الذكر، هي وعاء الفكر تحفظه وتعبر عنه كما ترقى برقيه فعندما ينمو العقل ويتطور فإنه يأخذ بيد اللغة ويطورها لتكون خليقة للتعبير عن هذا الفكر السامي المتطور، ولما كان الفكر ذلك السر البشري المتطور دائما المتطلع إلى الكمال، فإن هذا الفكر يحتاج في رحلته إلى لغة لتعبر عنه ، إذن لابد لهذه اللغة من السمو والتطور إلى الدرجة التي تلتقي فيها مع هذا الفكر.و لا يمكن أن ينمو التفكيرمن غير اللغة، فاللغة هي التي تمد الفرد منذ الطفولة بالألفاظ التي تطلق على المعاني الكلية وهي التي تمكنه من السمو بفكره من المحسوسات إلى المجردات وربط المعاني الكلية بالألفاظ الدالة عليها والتمييز بين أسماء الأجناس وأسماء الأشياء، ولقد دلت التجارب العلمية التي أجريت في هذا الموضوع أن إدراك الطفل لمعاني الأشياء مقترن بتقدم اللغة عنده، والوظيفة اللغوية، تتماشى مع إدراكه وتصاحبه دوما، وتخلف الوظيفة اللغوية عند الأطفال يصاحبها غالبا تخلف في الإدراك. (30)

كل من اللغة والفكر يكمل أحدهما الآخر، فهما وجهان لعملة واحدة، فإذا فقد الإنسان القدرة على التفكير فقد فقد القدرة على التعبير السليم، فالفكر ينمو ويرقى وبذلك تنمو وترقى معه اللغة وكل تطور في الفكر يصاحبه تطور في اللغة.

---

(27) أحمد بن نعمان، المرجع السابق ذكره، ص 87

(28) أحمد عبد الرحمن حماد ، المرجع السابق ذكره، ص 22
(29) أحمد بن نعمان، المرجع السابق، الصفحة ذاتها.
(30) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، دار العلوم للطباعة 1974، ص 69

فلو أخذنا كلمة (المروءة) : أصلها في اللغة من كلمة (المرء) ومعناها الرجل المكتمل، وكلمة المرء في معناه الحسي لا تدل إلى على الشخص، في حين أن تطور اللفظة إلى مروءة يدل على ما في الرجل من صفات مثل: القوة، والهمة ، والنخوة، والشهامة، والأمانة وغيرها من الدلالات الحديثة.

وكلمة (الروح): أصلها من نفس أصل لفظة (الريح)، وهو الهواء، ثم النفس الذي تردده الإنسان في صدره شهيقا وزفيرا، وقد سمي كل ما تحمله الريح وتمضي ليشمه الإنسان عند التنفس "رائحة"، وسميت "الراحة" لليد لاتساعها وانبساطها، ولما كان تردد الريح في صدر الإنسان هو أوضح العلامات على أنه حي لم يمت، أشتق من ذلك لفظ الروح بمعنى سر الحياة المجرد المبهم في الكائن الحي، ولاشتقاق الروح من الريح جاء لفظها في القرآن الكريم مستعملا مع الفعل "نفخ" في قوله عز وجل: **"ونفخنا فيه من روحنا"** ،وكلمة (النفس): أصلها من مادة النفس أي استنشاق الهواء شهيقا وزفيرا، من ذلك استعملت النفس بمعنى الكائن المحتوي على سر الحياة، لأنه يتنفس.

ولفظ (العقيدة) وأصلها من الفعل عقد، وهو أن يربط الإنسان عقدة في حبل أو قطعة من النسيج، والعقيدة هي الشيء الثمين الذي يصر ويربط ويعقد عليه الرباط حتى لا يضيع، كذلك كان الرجل القديم يعقد خيطا، أو خصلة من الشعر أو الصوف على أصبعه ليتذكر شيئا هاما ولا ينساه، ثم استعملت كلمة العقيدة استعمالا فلسفيا للدلالة على ما استقر في قلب الإنسان من فكرة دينية أو سياسية أو اجتماعية ويحرص عليها الإنسان ويتعصب لها، وكأنها شيء ثمين عقد عليه قلبه حتى لا يضيع.

وكلمة (العقل) بمعنى الربط أو ربط الدابة بحبل اسمه العقال، وقد قال **صلى الله عليه وسلم** " **أعقلها وتوكل**" أي اربطها بحبل وتوكل، والعقال الذي يوضع على الرأس لأنه يعقل "الحطة"، ثم نقل من معناه الحسي إلى المعنى الفلسفي وهو القوة الخفية في النفس البشرية التي تمسك الإنسان فلا يجمع ولا يضل، ويقال فلان عاقل وفلان يعقل.

وكلمة (الشرف) مأخوذة من الشرفة وهي الارتفاع، لأن من يقف عليها يشرف على غيرها أن يستطيع أن يكشف مادونها. ثم انتقلت من المعنى الحسي إلى المعنى المجرد، وأصبحت تدل على مجموع حيثيات بعضها بالنسب وبعضا بالحسب تجعل للإنسان، معنويا منزلة أرفع من غيره (31).

يتجلى مما سبق أن كل ما في اللغة من اشتقاق أو توسيع أو تضيق للدلالة، أو تقل لها من المحسوس إلى المجرد من صنع البشر نتيجة لتطور الحياة وتطور الفكر، لهذا نجد أن اللغة تمت وتطورت مع الفكر لتكون أداته المعبرة عنه، كما يقول **سابير** " إننا نفكر دوما من خلال ألفاظ نستحضرها في أذهاننا ".

ويظل الاختلاف في الجزيئات و التفاصيل قائما و ممكنا في الأفهام، فهو الذي يضمن للكلمة

(31) أحمد عبد الرحمن حماد ، المرجع السابق ذكره، ص 31 – 32

مرونتها في الدلالة وصلاحيتها للإحاطة بقدر ممكن من المعرفة الإنسانية العامة. وبهذه الطريقة يصبح التفاهم ممكنا بين الناس بعضهم مع بعض، وإذا كانت مجموعة ألفاظ لغة من اللغات هي تلك الرموز الاصطلاحية الدالة على المتصورات المعروفة لدى أهل تلك اللغة فإن اللغة نفسها – أي الكلام المركب المفيد- هو التصور الشفوي للنسب القائمة بين هذه المتصورات بعضها وبعض، فكلمة (رداء) مثلا وهو ما يلبسه الإنسان ليستر به نفسه،مهما اختلف طولا واتساعا، ومهما تعددت ألوانه وطرق تفصيله ومادته يساوي بين " الجلباب، والعباءة، والمعطف، والجبة، والقميص، والدشداشة، والنفنوف وغيره " وإن اختلفت التجربة الحسية التي استحدثت منها قيمة اللفظة وكيانها بوصفها وحدة لغوية لأن فيها من التشابه ما يكفي لجمعها تحت رمز واحد. ومهما اختلفت المواضيع ومهما اختلفت المستويات الفكرية فإن مادة التفاهم والجهاز اللغوي المطالب بالتعبير عنها يبقى واحدا على الدوام.

وقد سئل الدكتور **بــلارد Ballard** يوما : " هل بالإمكان أن نفكر دون لغة ؟ ".

فأجاب : " **نعم** إذا استطعنا أن نحل محل اللغة رموزا أخرى، ولكن كلما زاد التفكير عمقا واتجه النشاط العقلي إلى المقارنة واستنباط الصفات المشتركة، والوصول إلى الأحكام العامة في حالة الطريقة الاستنتاجية، زادت حاجة العقل إلى استخدام اللغة، وإذا أمكن التفكير من غير لغة فإن هذا التفكير لن يستمر طويلا " (32)، تلك إذن علاقة اللغة بالفكر، فاللغة تخدم الفكر وتقدم له القوالب التي تصاغ فيها المعاني وهي أداة لا غنى عنها من جهتين: أولا أنها وسيلة لإبراز الفكر من حيز الكتمان إلى حيز التصريح، وثانيا فهي عماد التفكير الصامت والتأمل ولولاها لتعذر على الإنسان أن يسبر الحقائق إلى عمق أعماقها حينما يسلط عليها أضواء فكره. كما أن اللغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة، وتصف الأشياء بخصائصها حتى لا تتداخل مع غيرها، وتساعد المفكر في عمله، إذ تزوده بصيغ وتعابير معروفة وتضع تحت تصرفه أساليب مدروسة.

واللغة ليست مجرد وسيلة نقل للأفكار، فهي ذات ارتباط وثيق بالأفكار التي تنقلها، وذات تأثر بها، وتأثير فيها، وكل لغة تحمل أفكارا ومعاني وأحاسيس لا تدرك إلا بتلك اللغة، فطرائق المجتمعات في التعريف اللغوي بها، لها دلالتها الكبرى لدى علماء الاجتماع الذين يرون أن حاسة اللغة لا تتكون من **المحفوظات** وإنما تحتاج في تكوينها إلى **المعاناة**، أي أن فهم اللغة التي يتحدث بها أفراد مجتمع ما لا يتأتى لأحد إلا بمعايشتها، ويؤكد **ادوارد سابير E.Sapir** هذا المعنى فيقول: " إن محاولة التمكن من معرفة الثقافة البدائية لدى جماعة من الجماعات بدون معونة تزودنا بها لغة تلك الجماعة هي أقرب من محاولة الهواة وأشبه بمحاولة المؤرخ الذي لا يستطيع استعمال الوثائق الأصلية في الحضارة التي يقوم بوصفها وتحليلها

(32) عبد العزيز عبد الحميد، مرجع سابق ذكره، ص 40

ويضيف الفيلسوف الألماني **فيخته Ficht** " إن اللغة تؤثر في الشعب الذي يتحدث بها تأثيرا لا حد له، يمتد إلى تفكيره، وإرادته، وعواطفه، وتصوراته، وإلى أعمق أعماقه، وأن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير ومتكيفة به ". (33)

نخلص من كل هذا أن اللغة حقيقة هي الواقع المباشر للفكر أي أن جوهر الفكرة يعلن عن نفسه بواسطة الألفاظ، ولا وجود للأفكار خارج نطاق من اللغة، وأن الاتصال الأبدي بين اللغة والفكر أوجد حالة اعتماد كلي من الفكر على اللغة بحيث أصبح الإنسان غير قادر على جمع شتات الفكر إلا داخل أسوار اللغة وأن اللغة هي المادة الطبيعية للفكر وهي التي تؤثر فيه تأثيرا عميقا، وتوجهه وجهتها الخاصة، وتطبعه بطابعها المميز وبطابع ثقافتها النوعية، وصدق الله العظيم حيث قال: " **خلق الإنسان علمه البيان** " والبيان هو الإعراب عما في النفس وعما يدور في الفكر بواسطة اللغة.

اللغـة والديــن :

لا يختلف اثنان في أن الدين ظاهرة اجتماعية صاحبت الإنسان في جميع أطواره الثقافية عبر التاريخ، وإن اختلفوا في تحديد ماهيته، ومصادره، وسبب وجوده. فهو من أهم النظم الاجتماعية وأخطرها شأنا في مبلغ ما يؤديه من وظائف في حياة الفرد والجماعة وفي استقرار التنظيم الاجتماعي، إذ ليس ثمة عاطفة إنسانية أبعد غورا وأرسب تأثيرا في مشاعر الفرد والمجتمع من العاطفة الدينية. إن للدين علاقة تأثير وتأثر بمعظم النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع لعلاقته بالإنسان وارتباطه الوثيق بصميم الواقع الاجتماعي. وقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة هذا النظام و وضعه **دوركايم** (34) على قمة النظم الاجتماعيةوقرر في دراسته أن الأشكال الأولية لمختلف مظاهر النشاط الاجتماعي كانت منبثقة ومطبوعة بالحياة الدينية ومصطلحاتها. ولكل دين قواعده الملزمة، وقد كان لهذه القواعد في المجتمعات القديمة القوة الضابطة المسيطرة التي تسمو فوق القوى الأخرى والمتمثلة في إجراءات طقوسية معقدة وخطيرة تشكل انتقاما للقوى القدسية، ولاتزال قواعد السلوك الديني محتفظة بهيبتها و قدسيتها و تمارس على الأفراد ضغوطا كبيرة، كما لا تزال القوى الدينية مراكز الثقل في استقرار حياة الأفراد وفي مبلغ خضوعهم للتنظيم الاجتماعي بما تفرضه من طقوس وشعائر ومراسم دينية وكل ما درج العمل به نقلا عن السلف الصالح، والوصايا والحكم المأثورة والتعاليم المتواترة بالإضافة إلى العبادات من الصلاة، والصيام، والتقشف والزهد وحرمان النفس وإذلالها والرياضات الروحية والمقامات الصوفية والانتقام الذاتي. كل هذه القواعد والمثل العليا التي تهدف الجماعة إلى تحقيقها سواء ما كان منها متعلقا بتنظيم علاقات الأفراد بعضهم مع بعض، أو ما كان منها متصلا بتنظيم علاقاتهم بقوى غيبية رمزية ينسب إليها السلطان المطلق

(33) أحمد بن نعمان، المرجع السابق ذكره، ص 88

(34) مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص 230-322

في توجيه نشاط المجتمع والتحكم في مصائر أفراده ورعاية مصالحهم، تعتبر حصيلة التراث الاجتماعي ورأس مال الجماعة.

هذا، وينبغي أن نشير إلى أن حياة الجماعة والتنظيم الاجتماعي لا يمكن أن يستقر بفضل قوة القوانين الوضعية وتقرير الجزاءات وتوقيع العقوبات، بل لا بد من الوازع الروحي والإيمان بالقيم الدينية والخوف من غضب الله وسخطه، وهذه السلطة الروحية أقوى بكثير من قوة القانون وأحكامه أو مظاهر السلطة المادية الأخرى، فإذا جاز للإنسان أن تحدثه نفسه بالهروب من بطش القوى السياسية والقانونية، فلن يستطيع أن يفر من وجه العدالة الإلهية ولن يستطيع أن يفلت من وخز الضمير أو إيحاءات القوى الغيبية لاسيما إذا كان قد أتى عملا غير مشروع.

ومن هنا تتأكد القيم والمشاعر الدينية في نفوس الأفراد، فالسلطة الدينية بفضل ما تفرضه من أوامر إلهية ووصايا قدسية وإيحاءات سيكولوجية، ترسي دعائم الاستقرار والتنظيم الاجتماعي، والاطمئنان النفسي، وتطبق قواعد العدل، وتهذب السلوك وتصحح قواعد المعاملات وترسي العلاقات على أسس من التعاون والتكافل الاجتماعي. وهي فضلا على ذلك تؤدي وظيفة ايجابية أعمق أثرا في الحياة الاجتماعية، إذ تربط بين قلوب معتنقيها برباط المحبة والتودد والتواصل لا يدانيه رباط أخر، فرباط الأخوة في العقيدة هو العصب الجامع لكل القيم الأخلاقية والمثل العليا التي تسير على هديها الجماعات ومن ثم كان للدين في المجتمع منزلة القلب من الجسد.

-إن خصائص الأمة العقلية، ومميزاتها في الإدراك والوجدان والنزوع، وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة... كل ذلك ينبعث صداه في لغتها. ففي الأمم البدائية المنحطة المدارك ، تغزر الكلمات الدالة على المحسوسات والأمور الجزئية، وتنعدم أو تقل الألفاظ الدالة على المعاني الكلية، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة ولا يتسع لفلسفة ولا لدين بالمعنى الصحيح، ومن هذا القبيل لغة الشعوب الصينية التي لا يوجد فيها اسم للإله (35). ويعبر فيها عن مسائل ما وراء الطبيعة بعبارات ملتوية مبهمة، وعلى العكس من ذلك الشعوب التي أوتيت ديانات سماوية، فينشط فيها التأمل الفلسفي، ويعمق الإدراك، وتميل إلى تفسير ظواهر الكون تفسيرا دقيقا، يضفي على لغاتها ألفاظا غزيرة وتراكيبا معبرة عن المعاني الكلية والحقائق العامة، وسنبين فيما يلي علاقة النظام الديني بالنظام اللغوي :

- إن الأديان على اختلاف أنواعها هي مجموعة من القواعد الضابطة لسلوك الفرد مع نفسه ومع الجماعة، ومن حيث هي كذلك تتطلب – بالضرورة – الاستعمال اللغوي في الدعوة لها، وفي ممارسة طقوسها، بل وفي اعتناقها كالتشهد في الإسلام مثلا (36)، (حيث يعتبر أساسيا للدخول في الإسلام).

(35) علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق ذكره، ص 17.
(36) أحمد بن نعمان، مرجع سبق ذكره، ص 101.

- يضفي الدين على اللغة رموزا تحمل دلالات، ولا توجد بنفس المعنى في غير النطاق الديني ككلمة (**احد**) التي ترمز إلى الوحدانية وكلمة (**البعث**) التي ترمز إلى يوم القيامة في الآخرة وكذا (**الخلود**)، و(**الصراط**)، و (**الحساب والعقاب**)، والرموز الحرفية مثل (**ألف ، لام، ميم**) و(**ياسين**)، (**كاف هاء عين صاد**) في القرآن الكريم، فهذا النظام الرمزي في لغة الدين له تأثير ظاهر في النظام اللغوي عموما حيث يغير مدلول كلمات أو يضيف دلالات جديدة إلى اللغة السائدة، كذلك كلمة (**المعبد**) (37)، هي رمز لمكان تقام فيه الطقوس والشعائر الدينية من أي نوع كان، ولكن إذا قلنا كلمة (**الكعبة**) فإنها لا تدل إلى على بناء بعينه مقدس عند المسلمين ومكانه مكة المكرمة. وإذا قلنا (**البيعة**) فبالرغم من أن دلالتها ليست كالكعبة، إلا أنها أضيق دلالة من كلمة الكعبة، بمعنى أنها لا تدل إلا على المعبد الصغير للمسحيين وحدهم، وقد توسع فيها العرب فأطلقوها على المعبد اليهودي الصغير أيضا، يقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط : **'والبيعة بالكسر متعبد النصارى'**، وقد قال الزبيدي في تاج العروس: **'وقيل كنسية اليهود '** ، كنشت بالفارسية.

- من خصائص الدين أنه يتعلق بمبادئ ثابتة، وبكائن (أو كائنات) علوية أبدية، والاتصال بهذا الكائن العلوي الأبدي، أو اتصال الكائن العلوي بالكائنات الدنيا يتم بوسيلة الاتصال التي هي اللغة ويبدو ذلك واضحا في لغة الدعوات مثلا وأسلوب التضرع إلى الله ... الذي لا يكاد يتغير في جميع الديانات منذ ظهورها وإن تغيرت الكلمات التي تصاغ بها الدعوات. ومن الأمثلة البارزة على ذلك : اللغة العبرية التي زالت من التداول منذ أكثر من عشرين قرنا (38)، ولكنها بقيت محفوظة كلغة خاصة بفضل علاقتها بأسفار التوراة التي ظل اليهود يحافظون عليها حيثما تشتتوا في أقطار العالم إلى أن كونوا وطنا قوميا لهم في هذا القرن، فوجدوا وسيلة الاتصال، ويمكن القول بأن اللغة العبرية لو لم تكن لغة الدين اليهودي لزالت من الوجود إلى الأبد، ولعلها هي الوحيدة التي عادت إلى وضعها الصحي بعد جمود دام أكثر من عشرين قرنا. ونفس الكلام يمكن أن يقال على اللغة العربية، فلو لم يكن القرآن هو حافظ اللغة العربية لتغيرت كثيرا عما هي عليه الآن، ولو فرضنا أن التوراة أو الإنجيل أو القرآن انزل باللغة السامية الأولى لوجدنا هذه اللغة مستعملة إلى يومنا هذا. ولعل أقوى دليل على ذلك اللغة القبطية في مصر، فعلى الرغم من زوال هذه اللغة تماما من التداول اليومي منذ عدة قرون فإننا نجدها باقية في الكنائس القبطية، ومستعملة في الطقوس الكنائسية والأدعية والتراتيل (39).

ويكفي القول في موضوع المحافظة، بأن الدين يتعلق بكائن أبدي واللغة التي بلغ بها هذا الدين أو التي تمارس بها طقوسه، لابد أن تكون بالضرورة باقية ما بقي هذا الدين قائما في المجتمع.

---

(37) أحمد عبد الرحمن حماد، مرجع سبق ذكره، ص 25.

(38) أحمد بن نعمان، المرجع ذاته، الصفحة ذاتها.

(39) أحمد بن نعمان، مرجع سبق ذكره، ص 102،103

- تفرض لغة الدين نفسها على كل فئات المجتمع، لأن الدين يخلق عادات وقيما وتقاليد في المجتمع لا يجد الفرد مفرا منها – ومن الأمثلة التي يظهر فيها فرض الدين للغة على الألسن ترديد الناس لبعض التعابيرالدينية المختلفة فعبارة " **بسم الله الرحمان الرحيم** " (40)، التي يبدأ بها تلاوة القرآن، تقال عند كل فعل يشرع في القيام به، ويعد كل عمل لم يذكر فيه اسم الله أبترا كما قال ذلك النبي **صلى الله عليه سلم.**لذا نقول عند ركوب المواصلات والسفن **"بسم الله مرساها ومجراها"** ونقول : " **بسم الله توكلت على الله** ". وقولنا في الاستحسان : " **ما شاء الله**" ، **"اللهم صل على النبي**" ، " **يا الله** " فيذكر اسم الله ورسوله، ونقول **"يا فتاح يا عليم"، "يا رزاق يا كريم"**، دعاء لله عز وجل الذي بيده فتح مغاليق الغيببما فيه خير الناس، كما نقول في لغة التحايا **"السلام عليكم ورحمة الله"** والملاحظ أن التعابير الدينية تتردد على ألسنة أناس يجهرون بإلحادهم، فهم على كفرهم يذكرون (**الله**) إذ يقسمون بقولهم (**والله العظيم**) أو يترحمون على الأموات بقولهم (**الله يرحمه**) أو يردون على المتسولين بقولهم (**الله يفتح ، أو الله كريم**) وذلك يصدر منهم، لا شعوريا – بحكم العادة، والتطبع، أو شعوريا- بفعل ما للنظام من قوة الجبر والإلزام لأفراد الجماعة على عدم الخروج من بعض قواعده، وضوابطه العامة.

ومن التعبيرات الدينية التي اخترقت حجب الزمان والمكان لتكون على ألسنة العامة في القرن الخامس عشر الهجري قولهم: " **لا يفتى ومالك في المدينة** "، " **إن وجد الماء بطل التميم**"، وقولهم "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**" التي تعيد إلى الذهن معنى قرآنيا.

ويظهر تأثير الدين في اللغة في المناسبات المتعددة كالمواسم والأعياد، وترديد الناس للمدائح الدينية بكيفية خاصة، ولغة خاصة، ومن أوجه هذا الارتباط بين الدين واللغة ما يظهر باستمرار من كتابات أدبية، أو فلسفية، أو فقهية، أو علمية،... تكتب حول الدين شرحا، أو نشرا، أو دفاعا عنه في وجه خصومه. بذلك يكون للغة أيضا تأثيرا في الدين بقدر ما للدين من دور في نشر اللغة، والحفاظ عليها...فبالقدر الذي كان الدين دافعا للكتاب، والفلاسفة، و العلماء على التفكير وإنتاج الآثار الأدبية الرائعة دفاعا عنه ونشرا له، كانت اللغة وسيلة مؤثرة في الدين بوصفها أداة تبليغ للآخرين، وكلما كانت غنية في بلاغتها وأجادت التعبير عن التعاليم التي يبشر به الدين كلما ساعدت على نشره وأرسخت مبادئه،ورغبت فيه... ولعل بلاغة واعجاز القران الكريم الذي يؤثر ويترك وقعا في نفوس قارئيه لأوضح مثال على ذلك، وهو أثر لا نلمسه عند قارئ القرآن المترجم،فهذا الأخير لا يجد ذوقا وجاذبية كتلك التي يستشعرها المسلم من بلاغة المعنىوعذوبة عندما يقرأ القرآن بلغته الأصلية.

نخلص من كل هذا إلى القرار بوجود علاقة قوية بين الدين واللغة تتمثل في تأثير كل منهما في الأخر بمقادير متفاوتة. وكما يؤثر النظام الديني في النظام اللغوي ويتأثر به كذلك يؤثر النظام اللغوي في الثقافة والحضارة ويتأثر بهما.

(40) أحمد ماهر البقري،اللغة والمجتمع، 1984،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر و التوزيع، الآسكندرية، ص 128،139،145

المبحث الثالث : علاقة اللغة بالثقافة والحضارة :

اللغة والثقافــة :

لنتبين العلاقة التي تربط بين الثقافة واللغة يتوجب أن تحدد أولا مفهوم الثقافة، تعود جذور كلمة ثقافة **"Culture"** إلى اللفظ اللاتيني **"Culture"** الذي يعني حرث الأرض وزراعتها، وقد ظلت اللفظة مقترنة بهذا المعنى طوال العصرين اليوناني والروماني حيث استخدمها شيشرون مجازا بالدلالات نفسها، فقد أطلق على الفلسفة **"Mentis Culture"** أي زارعة العقل وتنميته(41)، مؤكدا أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس على تكريم الآلهة، وقد ظلت الكلمة هكذا حتى القرون الوسطى حيث أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية **"Cultes"**.(42) وفي عصر النهضة اقتصر مفهوم **"Culture"**على مدلوله الفني و الأدبي، فتمثل في دراسات تتناول التربية والإبداع. واستخدمها **فولتير** وأقرانه من مفكري فرنسا،حيث كانت كلمة **"Culture"** لديهم تعني تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة (43). وبانتقال مفهوم **"Culture"** إلى **"Kulture"** الألماني اكتسبت الكلمة مضمونا جماعيا، فقد أصبحت تدل على التقدم الفكري الذي يحصل عليه الفرد أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة، وذلك اتساقا مع التصور الألماني لتاريخ البشرية الذي يعتبر درجات التقدم الفكري معيارا أساسيا للتمييز بين مراحله (44)، ومن ناحية أخرى نظر المفكرون الإنكليز إلى **"Culture"** من زاوية تطبيقاتها العلمية، فعرفها **ميتيوأرنواد** بأنها "عملية ترقي نحو الكمال الإنساني تتم بتمثل أفضل الأفكار التي عرفها العالم وبتطوير الخصائص الإنسانية المميزة." ويعرفها الفيلسوف الأمريكي **جون ديوي** بأنها "حصيلة التفاعل بين الإنسان وبيئته". ويعرفها **رالف لينتون** بأنها" شكل متكامل من السلوك المكتسب ونتائجه، يشترك في عناصره وينقلها أفراد مجتمع معين"، ويعرفها **كلايد كلوكهون** بأنها "مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين، أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، أو هي الجزء الذي خلقه الإنسان في محيطه وهي التي تحدد الأساليب الحياتية، أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات" (45).

ويعرفها معجم المجمع الفرنسي- الذي ناقش كلمة **"Culture"** ومفهومها في جلسة خاصة بالمعجم بتاريخ: 29 جوان 1972- "بأنها تطلق بالمعنى المجرد العام في مقابل كلمة "طبيعة"، فهي العبقرية الإنسانية مضافة إلى الطبيعة بغية تحرير عطاءاتها وإغنائها وتنميتها ". ويعرفها **مالينوفسكي** بأنها:

---

(41) معن زيادة، معالم عن طريق تحديث الفكر العربي، الكويت، عالم المعرفة، رقم 115، 1987، ص 29
(42) الطاهر لبيب، سوسيولوجية الثقافة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1978، ص 7.
(43) معن زيادة، المرجع ذاته، ص 48
(44) الطاهر لبيب، المرجع ذاته، ص 7
(45) نصر محمد عارف، " الحضارة – الثقافية – المدنية " سلسلة المفاهيم والمصطلحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994، ص.21

" جهاز فعال يمكن الإنسان من الانتقال إلى وضع أفضل يواكب المشاكل التي تواجه الإنسان في بيئته". (46)

ولعل أشمل تعريف للثقافة هو ذلك الذي عرفها به **تايلور** في أول فقرة من كتابه " **Primitive Culture**"، وينص هذا التعريف على أن الثقافة بمعناها الاثنوغرافي الواسع هي: " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع". (47)

وقد أحصى **كوبير و كلوكهون** سنة 1952 ما يزيد عن 164 تعريفا للثقافة ابتداءا من كونها سلوكا متعلما، وحتى كونها أفكارا في العقل، أو تشييدا منطقيا، أو رواية إحصائية أو ميكنة الدفاع عن النفس، أو تجريدا من السلوك، أو دينا بديلا من حيث دورها في تحسين الحياة، أو طوباوية تعد بتحقيق الذات وإقامة التفاهم بين الجماعات.(48)

ويعرفها **"المعجم الوسيط"** الذي وضعه مجمع اللغة العربية في مصر بدءا بالجذور اللغوية الأصلية لمفهوم الثقافة، فيذكر أصلها اللغوي من ثقف أي هذب... الخ. ثم ينتقل فجأة إلى تعريف الثقافة بأنها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها. (49)

والثقافة كما أورد لسان العرب من "ثقف" أي حذق وفهم وضبط ما يحويه وقام به أو ظفر به وكذلك تعني فطن ذكي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، وتعني تهذيب وتشديد وتقويم وتسوية من بعد اعوجاج. (50)

وباعتبار هذه الدلالات يمكن تحديد ماهية المفهوم وأبعاده ودلالته حيث الثقافة في أصلها العربي تعني مجموعة من الدلالات نجعلها فيما يأتي:

* إن مضمون مفهوم "الثقافة " في اللغة العربية ينبع من الذات الإنسانية ولا يغرس فيها من الخارج، فالكلمة تعني تنقية الفطرة البشرية وتشذيبها وتقويم اعوجاجها ثم دفعها لتوليد المعاني الكامنة فيها وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاج إليها الإنسان.

---

(46) جان فريمون، تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية، بيروت، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 29، 1983، ص 85.

(47) Tylor, E.B, Primitive Culture, New York, Brentano's (1924) P.1

(48) Kroeber and Kluckhon G, Culture A Critical Review of Concept and Definition, Harvard 1952

(49) معجم اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط، ج1، ص 98

(50) لسان العرب، ج10، مادة "ثقف"

* إن مفهوم الثقافة في اللغة العربية يعني البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكل القيم التي تصلح الوجود الإنساني وتهذبه وتقوم اعوجاجه، فهو مفهوم يفتح الباب أمام العقل البشري لكل المعارف والعلوم النافعة، ولا يدخل فيه تلك التي تفسد وجود الإنسان ولا تتسق مع مقتضيات التهذيب والتسوية وتقويم الاعوجاج.

* إنه يركز في المعرفة على ما يحتاج الإنسان إليه طبقا لظروف بيئية ومجتمعه، وليس على مطلق أنواع المعارف والعلوم وإنما – كما يقول ابن منظور – "هو غلام لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه" (51).

وهذا يربط مفهوم الثقافة بالنمط المجتمعي الذي يعيش الإنسان في ظله، وليس بأي مقياس أخر يقسم الثقافات قياسا على ثقافة معينة مثل مفهوم "**Culture**" الألماني القائم على الفرض والمعيارية في التعامل مع الثقافات الأخرى، فاللفظ العربي يعتبر الإنسان مثقفا طالما هو ثابت المعرفة بما يحتاج إليه في زمانه وعصره ومجتمعه وبيئته، ولذلك يكون المثقف- أشد ما يكون – مرتبطا بمجتمعه وقضاياه بغض النظر عن كم المعارف والمعلومات المكتسبة في ذهنه والتي قد تكون أفكارا ميتة أو مميتة كما يقول مالك بن نبي.

* إنها عملية متجددة دائمة لا تنتهي أبدا، فهي لا تعني أن إنسانا أو مجتمعا معينا قد حصل من المعارف والعلوم والقيم ما يجعله على قمة السلم الثقافي أو أنه وصل إلى الغاية القصوى، وإنما دلالات التهذيب والتقويم تعني التجدد الذاتي أي تكرار التهذيب ومراجعة الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها.

* إنه مفهوم غير مقيد أو مخصص، فهو عام للإنسان والجماعة والمجتمع يشتمل على جميع أنواع الممارسات الإنسانية ومختلف درجاتها ويعطي دلالاته طالما تحقق مطلق التهذيب والتقويم. (52)

الملاحظ من كل ما سبق ذكره عن الثقافة بغض النظر عن اللغة التي تحمل هذه الثقافة – أن الثقافة موجودة في كافة المجتمعات البشرية، وتتسع لكل ما أبدعته عبقرية أبناءه عبر العصور المتعاقبة من تاريخ حضارته. ومن ثم كانت تشتمل على عناصر مادية، و أخرى معنوية، فالعناصر المادية هي الوسائل التي يستعملها الأفراد في معيشتهم كالمباني و الأثاث و الملابس و المخترعات، و كل ما تزخر به الحضارة في مجالاتها المادية.

أما العناصر المعنوية فتتمثل في اللغة و الآداب و العلوم و الأعراف و القانون و المعتقدات و الأخلاق.

---

(51) لسان العرب، ج10، مادة "ثقف"
(52) نصر محمد عارف، مرجع سبق ذكره، ص 31-33

إن الثقافة و المجتمع متلازمان بالضرورة و لا يوجد أحدهما منفصلا على الأخر. فالمجتمع كما يعرف هو " جماعة من الناس عاشوا معا مدة كافية لانتظام أحوالهم انتظاما يستطيعون معه أن يعدوا أنفسهم، و أن يعدهم الآخرون وحدة بشرية تختلف قليلا أو كثيرا عن غيرها من الوحدات، و الثقافة و هي كل ما ينتجه هؤلاء الأفراد من الأنماط السلوكية المختلفة التي تحكم معيشتهم كأفراد في المجتمع" (53) . وهكذا فإن أهم خاصية للثقافة هي أنها ذات طبيعة اجتماعية فلا توجد جماعة بشرية معروفة تستطيع أن تعيش من غير أن تكون لها لغتها و تقاليدها و نظمها الاجتماعية الخاصة بها. كما لا توجد ثقافات إلا في الجماعات أو المجتمعات، لأنها ظاهرة تتكون نتيجة تجمع الأفراد، و هي خاصة بالأفراد كأعضاء في جماعة و ليس خاصة بهم كأفراد متفرقين.

و من هذا التحديد لماهية الثقافة نتبين أن اللغة تمثل أقوى مكوناتها و أبرز صورها، و هي الوعاء الذي يحفظ الثقافة و تنقل بواسطته عبر الأجيال المتعاقبة في المجتمع . و في ذلك يقول الأستاذ ألبور **Alport:**

"إن اللغة تحتفظ بالتراث الثقافي جيلا بعد جيل و تجعل للمعارف و الأفكار البشرية قيمها الاجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة، للدلالة على معارفه و أفكاره ، و باعتبار اللغة من أقوى الوسائل التعليمية ، فهي تساعد الفرد على تكييف سلوكه و ضبطه حتى يناسب هذا السلوك تقاليد المجتمع الذي يعيش فيه (54) .

إن كل الأدوار التي تقوم بها اللغة في المجتمع هي ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالثقافة. فعلاقتها بالفكر و التعليم و التقاليد هي علاقة بالثقافة، لأن الفكر و التعلم، و السلوك، هي عناصر ثقافية. كما أن الدين و التاريخ و القانون و الآداب...لا تعرف إلا باللغة ، و في اللغة (55) .

و باعتبار أن الثقافة ملازمة للمجتمع كما سبق التفصيل... فإنها أيضا ملازمة للغة، لأن اللغة هي الأخرى لا تكون إلا في مجتمع، و لا يمكن قيام مجتمع بدون لغة تربط بين أفراده.

وتتجلى العلاقة التكاملية بين اللغة والثقافة في أن الثقافة تساعد على تطوير اللغة وإثرائها و التأثير فيها سلبا وإيجابا بما تحققه من اختراع في جوانبها المادية وسمو في الإنتاج الفلسفي،والفكري ،والأدبي ،وما لذلك الإنتاج الثقافي من اثر في إغناء اللغة بالمفردات والمعاني السامية والمضامين التي تزيد اللغة ثراء وقوة. كما أن نضوب معين الثقافة وتوقفها عن الاختراع المادي والإنتاج الفكري يؤدي لامحالة إلى وقوف تطور اللغة في الدلالات والمعاني، ويضيق أفق اللغة وتعجز عن التعبير على الأشياء المستحدثة التي لم يكن لثقافة تلك اللغة فضل في اختراعها .

---

53 - فارس خليل , التطور الثقافي في مجتمعنا الاشتراكي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1960، ص 19 .
54- عبد العزيز عبد الحميد ، مرجع سبق ذكره ، ص 19
55- أحمد بن نعمان ، مرجع سبق ذكره ، ص 94

و أوضح مثال على ذلك ، اللغة و الثقافة العربيتان : فعندما توقفت الثقافة العربية عن مواكبة التقدم التكنولوجي العصري في الاختراع ،أثرت على اللغة العربية التي أصبحت تعاني من بعض القصور في التعبير عن المستحدثات من الأشياء التي اخترعتها ثقافات أخرى و أصبحت المجامع اللغوية العربية تسابق الزمن دون جدوى لتعريب ذلك السيل من المصطلحات العلمية التي تستجد في الثقافات الأجنبية كل يوم في شتى ميادين الحياة (56) .

كما يظهر تأثير الثقافة في اللغة في كثرة الكلمات المستعملة للدلالة على الشيء الواحد بحسب اهتمام أفراد المجتمع بذلك الشيء و موقفهم الثقافي إزاءه .

و من ذلك مثلا أننا نجد في اللغة العربية عشرات الأسماء لمسمى واحد كالسيف أو الجمل أو الأسد ، في حين لا نكاد نجد لهذه المسميات إلا اسما واحدا أو اسمين في لغات أخرى كالفرنسية أو الانجليزية، كما نجد في العربية كلمات (خالة) و (عمة) و (عم) و (خال) للدلالة على نوعيات محددة من صلات القرابة من ناحية الأب أو الأم ، على حين أن هذه المسميات كعمة وخالة تختصر في الفرنسية و الانجليزية في كلمة(**tante**)، وعم وخال في(**Oncle**).

هذه أمثلة للدلالة على تأثير الثقافة السائدة في المجتمع على الرموز اللغوية التي تتمثل فيها هذه الثقافة .

ولأن ثقافات المجتمعات والأمم يختلف بعضها عن بعض فإن كل لغة تمثل رموز هذه الثقافة ، تحمل للسامع - بالتالي – معاني تثير في نفسه انفعالات تختلف لدى أفراد المجتمع الذين يتحدثون تلك اللغة عنه لدى أفراد مجتمع أخر غريب عنها ، ذلك أن اللغة تحمل مضامين فكرية وشحنات انفعالية تترك في السامعين أثار مختلفة . كما أنها تتكون من ألفاظ لها معان مشتركة أوضح ما يتمثل فيها العنصر الرمزي الذي يميز السلوك الثقافي الإنساني ، فاللون مثلا يشير إلى شيء محدد في كل ثقافة .

فاللون **الأحمر** يدل على الخطر في ثقافة كما يدل على التضحية والجهاد في ثقافة أخرى ، واللون **الأبيض** يدل على الطهر والبراءة ، في ثقافة قوم ، ويرمز إلى المرض والموت في ثقافة قوم آخرين ، واللون **الأسود** قد يكون رمزا للحزن في ثقافة، وعنوان للجد والتواضع في ثقافة أخرى ، وتكون بذلك كلمة أحمر وأبيض وأسود في كل لغة حاملة لدلالة معينة تختلف باختلاف مدلول الكلمة في كل ثقافة .

56- فارس خليل ، التطور الثقافي في مجتمعنا الاشتراكي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1960 ، ص 19 . 53

كما أن الكلمة تكون مشحونة في غالب الأحيان (بالإضافة إلى جانبها الفكري) بانفعالات مختلفة التأثير بالنسبة لمن يتحدث بها أو يكتبها أو لمن يسمعها أو يقرأها. فكلمة (جمل) و (صحراء) و (سيف) ترتبط لدى ابن الصحراء العربية بمشاعر مختلفة تماما عن تلك التي ترتبط بها نفس الكلمات لدي الفرد في مجتمع الإسكيمو مثلا . وعكس ذلك كلمة (ثلج) و(نار) و(برد) فإنها تترك انفعالات لدى سماعها من سكان القطب الشمالي ، ترتبط بمشاعر سلبية أو إيجابية حسب أثرها السابق في مجرى حياته اليومية ، تختلف عن المشاعر والأفكار التي توحي بها نفس الكلمات للفرد في الصحراء العربية ، ونفس الشيء يقال عن كلمة (بقرة) و (خنزير) بالنسبة للفرد في المجتمع الإسلامي والمجتمع الهندوسي ، ففي الوقت الذي توحي الكلمة الأولى للمسلم بمشاعر طيبة توحي له الثانية بكل ما هو قذر وخبيث ومحرم ، وعكس ذلك عند الفرد الهندوسي الذي توحي له الكلمة الأولى بمشاعر التقديس والمهابة في حين توحي له الثانية بمشاعر مخالفة لما أوحت به إلى المسلم ، ومما يتمثل فيه تشبع الكلمات بالمشاعر والمعاني الخاصة هو الشعر و الأدب عموما ، ولهذا تكون اللغة وعاء لحفظ الثقافة ووسيلة التعبير عنها والعربة التي تنقلها عبر أجيال البشر في مختلف الأزمنة والأمكنة . وكما لا يمكن وجود ثقافة بدون لغة لا توجد لغة بدون ثقافة ولا يوجد الاثنان بدون مجتمع . تلك هي علاقة اللغة بالثقافة في المجتمع .

- اللغة والحضارة :

تعتبر كلمة حضارة من الألفاظ اللغوية الأكثر شيوعا في الاستعمال لدى الكتاب والمفكرين في عصرنا الحاضر ، غير أن الغموض الذي يحيط بمدلولها لدى هؤلاء الكتاب ، يجعلها بعيدة عن أن يكون لها معنى واحد محدد ولذلك ارتأينا أن نفصل القول حول الأصول اللغوية ، و التاريخية والإجرائية لهذه اللفظة لنتبين مختلف أوجه استعمال هذه الكلمة بغية التوصل إلى تحديد معنى واضح نتبناه في سياق البحث .

يعود أصل الكلمة الأوروبية **Civilization**أو**Civilisation** **إلى الجذر اللاتيني Civites** بمعنى مدينة، أو **Civis** بمعنى ساكن المدينة، أو **civilis** بمعنى مدني أو ما يتعلق بساكن المدينة، و**citizen** وهو ما يعرف به المواطن الروماني المتعالي علي البربري ، ولم يشتق منها**civilization**حتى القرن الثامن عشر ، وربما كان أول كاتب استخدمها في كتاب منشور هو المركيز **دي ميرابو** في كتابه (صديق النساء أو مقال في الحضارة) الذي لا توجد منه سوى صورة خطية في المتحف الوطني بباريس . وقد عرفها دي ميرابو في كتابه هذا سنة 1722 بقوله:

(إن حضارة شعب ما هي رقة طباعه و عمرانه و تهذيبه و معارفه المنتشرة بحيث يراعي الفائدة العلمية العامة و يفسح المجال لقانون التفضيلات ، إن الحضارة لا تفعل شيء للمجتمع ما لم تمنحه جوهر الفضيلة و شكلها ، فمن صلب المجتمعات التي هذبت حواشيها جميع العناصر التي عددناها آنفا ينبثق مفهوم الإنسانية (57) .

و لم تلق هذه الكلمة انتشارا في حينها إذ أن **Beswell**(بوزول) حث الدكتور جونسون ليدرجها في معجمه سنة1972، و لكنه رفض مفضلا الكلمة القديمة "**Civility** " التي تعبر- تماما مثل كلمة"**Urbanity** " عن ازدراء الرجل المدني للقروي أو الهمجي (58) . و يبدو أن ما عناه غالبية من استخدموا الكلمة لأول مرة هو مزيج من الصفات الروحية و الخلقية التي تحققت على الأقل بصورة جزئية في حياة الكائنات البشرية في المجتمع الأوروبي، و كان من تلك الصفات الأدب ، و اللياقة، و النزاهة ، و الرقة ، و الاعتدال، و ضبط النفس عند الكلام ، في السلوك و في الفكر أيضا . فهذه العناصر كما قال ميرابو أد ت إلى ولادة المفهوم الجديد لإنسانية تميز الأمم و الأجناس ، بل و أشكال العبادة الدينية .

ومن هذا المنطلق ، تعد الحضارة شكلا من أشكال الثقافة يختلف نوعا و كيفا عن الأشكال الأخرى، كما تعد خاصة المجتمعات الأوروبية نظرا لتقدمها العلمي و التكنولوجي .

وأطلقوا على شعوب أوروبا الغربية اسم " الشعوب أو المجتمعات المتحضرة " في مقابل ما عداها من المجتمعات والشعوب التي كانوا يطلقون عليها اسم " المجتمعات المتخلفة ، أو البربرية ، أو غير

57- جون نيف ، الأسس الثقافية الحضارة الصناعية، ترجمة محمود زايد، بيروت ، دار الثقافة ، 1962 ، ص 127

58- جيمس هارفي روبنسون ، الحضارة ،و ترجمة علي اسلام ، القاهرة، مطبعة مصر ، 1965 ، ص 8

المتحضرة ... " ويعتمدون في تقسيماتهم على معيار التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحرزت عليها هذه الشعوب دون تلك (59) . فيعرفها **ول ديورانت** بقوله : " الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة في إنتاجه الثقافي وهي تتألف من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ، ومتابعة العلوم والفنون ، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق ، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف ، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها (60) . ويقول **كوندرسه** : " إن الحضارة عبارة عن اختفاء الحروب ، والاستعمار ، والرق ، والبؤس " ، " ويقول **ميزو** : " إن الحضارة هي سيادة إمبراطورية العقل الخالدة على العالم ".

هذا وقد كان الأوائل من علماء الأنثروبولوجيا الثقافية يذهبون إلى مساواة الثقافة بالحضارة ، واستخدموا كلمتي حضارة ، وثقافة بمعنى واحد أي كمترادفين . فالعلامة **تايلور** بالرغم من ترددة- بعض الشيء- في تحديد مدلولهما إلا أنه يقرر بأن الثقافة والحضارة هما لفظان لمدلول واحد ، وقد ورد تعريف الثقافة في المبحث السابق ، إن الحضارة هي عينها الثقافة لأنها ليست إلا من منتجات الأفراد من حيث هم أعضاء في المجتمع، و المفهوم نفسه نجده عند **دوركايم** , و جميع رجال مدرسته فيما بعد ،حيث ورد في مادة حضارة في الموسوعة الفرنسية على لسان **دوركايم و موسى** أن ثمة نوعا من الظواهر الاجتماعية التي" ليس لها إطار واضح ، و لا محدود تنتقل عبر الحدود السياسية من مجتمع إلى أخر ، و تنتشر في مناطق لا يستطاع تحديدها بسهولة ". و يعني بهذه الظواهر بعض ظواهر الثقافة ، أو الحضارة التي تنتشر في عدة مجتمعات وتتطور على مر فترات تاريخية واسعة تتعدى تاريخ وحدود مجتمع بذاته، وهي تحيى حياة فوق مستوى الحياة القومية ، فلفظ الحضارة والثقافة في هذه المدرسة متحدان ، ومن ذلك أننا نجد في الكتابات الفرنسية كلمة مثقف ومتحضر تعني مدلولا واحدا (61) .

ثم جاء فريق أخر من العلماء يفصلون الحضارة عن الثقافة فصلا تاما ، ويقصرون معنى الثقافة على النظم الاجتماعية ،والمعايير التي تعبر عن حياة الجماعة الروحية، كالدين، والأدب، والفن، والغايات الأخلاقية العليا، أما الحضارة فتنصب على المظاهر المادية ، والميكانيكية التي ابتدعها الإنسان في محاولة لضبط ظروف حياته. وهذا هو المعني الذي ظل سائدا عند أصحاب الفكر الألماني خاصة الرومانسيون ، في حين يركز الفكر الفرنسي والإنجليزي على أنها تشمل البعدين المادي والفكري من أبعاد التقدم.

59-أحمد بن نعمان ، مرجع سبق ذكره ، ص 350

60 - ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج1 : نشأة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1956 ، ص3

61- أحمد بن نعمان ، مرجع سبق ذكره ، ص 350

والحضارة بالمعني الألماني هو ما يطلق عليه غيرهم لفظ "الثقافة المادية" يقول **ألفريد ويبر** مؤسس -علم الاجتماع الثقافي- أن الحضارة تنبني على العقل وتنتقل نماذجها بسهولة من مجتمع لأخر ، أما الثقافة أساسها العاطفة والقيم الروحية وهي متحررة من العقل – إلى حد ما و تعبر عن روح الجماعة التي تنشأ بها هذه الثقافة ، وهي تقوم على الكمال الروحي والكمال العاطفي للإنسان (62).

بعرضنا لمفهوم الحضارة من المنظور الأوروبي نتعرض إلى مفهومها العربي. فالحضارة في اللغة العربية من الجذر اللغوي " حضر " بمعنى شهد من الحضور الذي هو نقيض المغيب (63). ومن ثم فإن مفهوم الحضارة بمعناها العام هو مطلق الحضور، أي طبيعة ونسق حضور أية تجربة بشرية استطاعت أن تصوغ نموذجا بشريا للحياة بكل أبعادها ونواحيها، تسعى لتقديمه للآخرين ليقتدوا به ويسيروا وفق منظومته على أساس أنه النموذج الإنساني الأجدر بالإتباع .

يتبين إذن أن الحضور مرحلة متقدمة في تجربة أي مجتمع ، إذ أن كثيرا من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون حضور ، ومن ثم لا يمكن إطلاق مفهوم الحضارة عليها مهما كان نتاجها الذهني والمادي ، طالما وقفت فقط عند مجرد الوجود . إن قيام المجتمع – أي مجتمع – يستلزم نمطا من القيم والمعايير والمعتقدات والأفكار والسلوكيات ، كذلك يستلزم أيضا نمطا من المبتكرات والأدوات والمؤسسات والعمارة و الفنون وطرق الإنتاج والمعايش . كلا هذين النمطين يعني أن المجتمع قد حقق نوعا من العمران، أي تعمير الأرض وبناء نموذج إنساني عليها ، لكن لا يعني الحضارة ، إذ أن مجرد قيام العمران فقط في المجتمع لا يعني أكثر من الوجود مثل أنموذج الصين والمايا والأنكا والزولو... إلخ . ذلك أن الحضور يستلزم فوق العمران تقديم نموذج للإنسانية للاقتداء به ، أي نمط من العلاقات مع بني البشر الآخرين ، ومع الكون أو مسخرات الله في الكون ، أي طرح نموذج إنساني للاقتداء به أو للتبشير به بغض النظر عن مضمون هذا النموذج .

62- أحمد بن نعمان ، المرجع نفسه ، ص 352
63- القاموس المحيط ، مادة حضر

فيطلق لفظ الحضارة على تجربة إنسانية طالما تحققت فيها الأبعاد التالية :

1- وجود نسق عقيدي يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب و مفهوم الإله سلبا و إيجابا .
2- وجود بناء فكري سلوكي في مجتمع يشكل نمط القيم السائدة و الأخلاقيات العامة و الأعراف.
3- وجود نمط مادي يشمل المبتكرات و الآلات و المؤسسات و النظم و العمارة و الفنون و جميع الأبعاد المادية في الحياة .
4- تحديد نمط العلاقة مع الكون و مسخراته و علم أشياءه و قواعد التعامل مع هذه المسخرات و قيمها
5- تحديد نمط العلاقة مع الآخر ، أي المجتمعات الإنسانية الأخرى و أسس التعامل معها و قواعده ، و أسلوب إقناعها بهذا النموذج و الهدف منه (64) .

من ثم فإن لفظ الحضارة لا يعني قيمة حسنة في ذاته أو صفة جيدة توصف بها الأشياء و الأفكار، و إنما هو لفظ محايد يختلف باختلاف نموذج الحضور و مكوناته .

أما في التأثير المتبادل بين الحضارة و اللغة فإن التحليل الذي أوردناه سابقا لإثبات علاقة اللغة بالثقافة ، ينسحب في بعض جوانبه على الحضارة بالمعنى الانجليزي و الفرنسي و العربي و الأمريكي الذي لا يفرق بين الحضارة و الثقافة، إلا أنه يتعين علينا إضافة علاقة اللغة بالحضارة، بالمعنى الألماني ، لكلمة حضارة . وهنا يتعلق الأمر بالجانب العلمي ، و التكنولوجي ، و التقدم المادي للمجتمع ، علما بأن هذه الجوانب المنفصلة منهجيا لا تكاد تكون كذلك في الحياة العملية نظرا لارتباط الثقافة (الجانب الفكري) بالحضارة (الجانب المادي) أو الثقافة المادية كما يسميها البعض ، فكل جانب يؤثر في الأخر تأثيرا مباشرا ، و من ثم لا بد أن تكون للغة علاقة بالحضارة ، لا تختلف عن علاقتها بالثقافة ، و طالما كانت الثقافات و اللغات مختلفة فالحضارات هي الأخرى تتسم ببعض الطوابع التي تميزها ، عن غيرها على اعتبار أن للثقافة القومية تأثيرا في الحضارة ، كما أن للثقافة القومية تأثيرا في اللغة ، و العكس صحيح .

و من و جوه هذا الترابط بين اللغة و الثقافة و الحضارة هو: **العلم و التكنولوجيا.**

فالعلم هو المعرفة، ومن هنا فهو أحد العناصر الأساسية أما التكنولوجيا فهي تطبيق للعلم في مجالات الحياة المختلفة، وبمعنى آخر فالتكنولوجيا هي تجسيد للنظريات العلمية في الواقع المعاش بما يجعلـــــها تعود بالفائدة على المجتمع الذي يخترع أفراده تلك النظريات ويطبقها في الواقع ، ومن هنا يقال أن العلم والتكنولوجيا توأمان لصيقان ،وهذا التحديد ينطبق على ماهو كائن في البلدان المتقدمة تكنولوجيـــــا

64- نصر محمد عارف ، مرجع سبق ذكره ، ص 60 – 61

(المتحضرة)وما يجب أن يكون في البلدان المتخلفة ،التي إن وجد لديها استعداد للعلم لا توجد لديها تكنولوجيا متقدمة مما يضطرها إلى استيراد تلك التكنولوجيا من الخارج بلغتها الأصلية (أي بلغة البلد المنتج للتكنولوجيا) مما يخلق ازدواجية وصراعا بين ثقافة البلدان الأصلية والحضارة المستوردة (التكنولوجيا) ويجعل شخصية هذه البلدان مخلخلة كما يجعل ثقافتها غير مكتملة العناصر.(65)

وفي هذا المعنى يقول احد المثقفين الجزائريين :"إن الأساس العلمي الذي انتهت إليه الدراسات العلمية والنفسية واللغوية اثبت أن العلم لايمكن أن يفهم وأن ينتشر إلا في نطاق اللغة الأصلية ... العلماء الكبار وحدهم هم الذين يحتاجون إلى اللغة الأجنبية لإنهاء بحوثهم ودراساتهم، أما الذين دونهم فلا يدركون

المعرفة العلمية إلا بلغتهم الأصلية ..." (66)

وملخص القول أن كل أمة تفكر في لغتها وبلغتها ،لتنتج بها الأشياء وتشيد بها الحضارات، ولتبرز إلى العالم بابتكارات أصلية ، وفي حلتها الخاصة فلم يحدث لأية أمة في التاريخ أن أبدعت واخترعت، وشيدت حضارة راقية، بغير لغتها القومية وفي مناخ ثقافتها الأصلية.

65-أحمد بن نعمان ، المرجع ذاته ،ص353

66-أحمد طلب الأبراهيمي في مقال بعنوان "الثورة الثقافية والتعريب" منشور في مجلة "الأصالة" العدد (17) ، نوفمبر 1974

خاتمة الفصل الأول :

إن داستنا للغة داخل المجتمع، وعلاقة تأثيرها وتأثرها بالمجتمعات، وثقافتها لم يكن عرضيا ،فكل ذلك يهمنا إلى أقصى حد كمترجمين . إن مشهد شخصيات تتبادل التحية كما جرت عاداتها في مجتمعها ، لايمكن ترجمتها بوضوح إلا إذا كنا على دراية بما تعنيه هذه التحية على المستوى الرمزي لتلك الثقافة. وبصفة عامة فإننا نهتم بالثقافة من حيث أنها كل دلالي يأخذ معناه من أصغر تفاصيل الحياة اليومية ويعطيه بدوره معنى بدءا من العادات، والملبس، والجلوس إلى الطاولة "**table manners**" وتبادل الهدايا وطرق إلقاء التحية والتلطف الاجتماعي" **greetings** "، ثم طريقة تنظيم الوقت من خلال رزنامات أرضية زراعية أو حتى قمرية (**calendriers agraires et lunaires**) ، يشار فيها إلى أهم لحظات الحياة من ولادة، وزواج، ووفاة، وحداد، وكيف تقام مراسيم الجنازات. وبعد ذلك علاقات القرابة، وبنية المجتمع من حيث الأعمار (**age groups**) ، والفئات الاجتماعية التي تضمن وظيفية البناء الاجتماعي

وأخيرا كيفية تعمير الأراضي، وتشييد المساكن والأماكن الحضرية، والهندسة المعمارية. إلى كل ذلك يضاف نظام رمزي وتمثيلي للعالم تحكمه علاقة الإنسان بالطبيعة، والفضاء الخارجي والعالم الغيبي أي المقدس الديني.

كل هذا الكل المتفاعل يشكل، مجتمعا، مدونة المترجم، وسنخصص الفصل الثاني وحتى الثالث من هذا البحث لدراسة ذلك على المستوى النظري و التطبيقي.

الفصل الثاني

الترجمة والثقافة

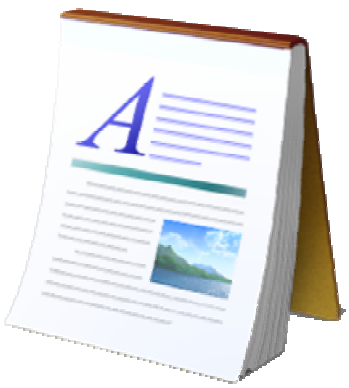

الفصل الثاني : " الترجمة والثقافة "

تمهيد

- المبحث الأول : الترجمة والثقافة
- المبحث الثاني : الترجمة والإثنوغرافيا
- المبحث الثالث : مقاربات لحل إشكالية نقل الوسط السوسيو ثقافي

خاتمة

إن من الوظائف التي نقر بها للترجمة منذ القدم أنها أولا تواصلية. فالترجمة ناقل استثنائي للمعلومات،وللمعرفة العلوم منذ العصور الغابرة؛ناقل يمكن الفرد من اكتشاف الأعمال
و الإنجازات الإنسانية المبتدعة والمنقولة إلى لغة أجنبية،أحيانا آلاف السنوات مسبقا إذا ما تم الاحتكاك بحضارات وثقافات الماضي البعيد أوحتى القريب و الحاضر.

لقد ساهمت الترجمة بغزارة في تقدم البشرية على المستوى الثلاثي كما أورد ذلك **جان كلود قيمار** (1) :"الأفكار المنتشرة بين كل جماعة إنسانية،وتنظيم المجتمعات، واقتصادهم، تفاديا لذكر قوائم الإنجازات الطويلة التي حققتها الترجمة منذ العصور،و التي يمكن العودة إليها من خلال أعمال المؤرخين للترجمة. ندرك جميعا ما ندين به لمترجمي أولى أعمال الفلاسفة، ورجال القانون،و الرياضيين وغيرهم من مفكري عصرهم الذين غذت أفكارنا أعمالهم ، ونتساءل عن العدد الهائل من الأجيال التي سبقتنا وجعلتنا نستقي من ثمرة أفكارها ونستفيد منها ،فنعود لأنفسنا بثقة لايخالطها ريب مقدرين كبر حجم ما ندين به ثقافيا لمترجم مجهول، ربطنا به خيط شفاف لكنه في صلابة الفكر المبدع الذي تناقلته حلقات الأجيال المتسلسلة.

قد يكون إنجاز هذا المترجم متواضعا وغير واضح المعالم مقارنة مع من شيدوا الإمبراطوريات وحكموا طويلا، لكنه أهم منهم" ويذهب **قيمار** في ذلك القول بتفوق الترجمة،ذلك أن الحضارات تنهار ويلحقها الانحطاط كما أن الإمبراطوريات مؤقتة في الوقت الذي تظل فيه الترجمة موجودة، آملين تظل دائما.

إن أول ترجمة أدبية من لغة إلى أخرى ترجع إلى عام 250 قبل الميلاد ،حين ترجم الشاعر **Livius Andronicus** أوديسة هوميروس إلى اللاتينية(2) وتلتها الأساطير و الروايات والأفكار القيمة التي حوتها لغات الحضارات، والتي وصلتنا عن طريق الترجمة منذ أفلاطون وأرسطو إلى هيقل ،من ديموستين وشيشرون إلى ماركس وجانغ ،من هيبوقراط وغاليلي إلى فرويد،مناوكليد إلى أنشتاين .

ويلخص **ميشال بالارد** الدوافع الى الترجمة في القرون الوسطى مشيرا أن دافع أوربا الشرقية والعالم الانجلوسكسوني الى الترجمة هو التبشير ونشر المسيحية ،أما في الشرق فبهدف نقل موروث ثقافي

1-Jean Claude GÉMAR, la traduction est-elle civilisatrice ? Fonctions de la traduction et règles de la civilisation, Université de Montréal, Montréal, Canada, Meta, XXXV,I, 1990
2-Gilbert Highet, The Classical Tradition, New York et Oxford, University Press,AGalaxy Book, P104

وفي جنوب ايطاليا و اسبانيا من اجل ضمان نشر المخطوطات الإغريقية والعربية عن طريق اللاتينية (3). إن اكتشاف الموروث الثقافي القديم لم يكن ممكنا إلا بفضل الترجمة .

كذلك كان الحال في عصر النهضة الأوربية فقد ذكر **أنطوان برمان** عن الترجمة أنها:

"أفق كل كتابة [...] [،]وطابع ما بدأنا نطلق عليه مايسميه برمان **Lieterature**

« L'horizon de toute écriture[…][,]la matrice de ce que l'on commence justement à appeler Lieterature ».(4)

وفـ ـصل **هنري ميشونيك** القـ ـول مخصصا جزءا كاملا من كتابـ ـ ـ ـه: " **Poétique du traduire"**

مفاده أن "الترجمة تمثل اليوم وأكثر من أي وقت مضى عنصر المعرفة والتبادل بين الثقافات، وكذا داخل كل ثقافة [...]إن أوربا قد خرجت الى النور بفضل الترجمة وداخل الترجمة.إن أوربا قد بنيت من الترجمات ،ولم تتأسس إلا بعد أن محت أصول تلك الترجمات" .

« Aujourd'hui plus que jamais la traduction est l'élément de l'échange et de la connaissance entre les cultures, et à l'intérieur de chaque culture […] L'Europe est née de la traduction et dans la traduction. L'Europe ne s'est fondée que sur des traductions. Et elle ne s'est constituée que de l'effacement de cette origine toute de traduction ».

" وحدها أوربا قارة ترجمة، ذلك أن أمهات العيون من النصوص هي مترجمة ،ولم تصبح كذلك إلا بالترجمة ،وأن أكبر الترجمات هي ترجمات النصوص المقدسة [...] فعلى عكس القرآن الذي يفرض نفسه في الدين الإسلامي بلغته ،لم تعرف التوراة في العالم المسيحي ولم تطبق كنص ديني خارج الملة اليهودية إلا مترجما من نصوص أصلية مساعدة :الترجمة السبعينية، الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس "الفولقاطة"(المعترف بها وحدها كنص 'أصلي' في مجمع الثلاثين الديني سنة 1546) وأخيرا ترجمة **لوثر** ورواية **الكينغ جيمس؛** الترجمة الانجليزية "المجازة سنة "1611

3-Michel BALLARD, De Cicéron à Benjamin, Traducteurs, traductions, réflexions, Lille, Presse Universitaire de Lille,1992.Cité in Meta, XXXVIII, 3, 993

4-Antoine Berman, L'épreuve de l'étranger, Culture et traduction dans l'Allemagne romantique, HERDER GOETHE SCHLEGEL NOVALIS HUMBOLDT SCHLEIERMACHER HöLDERLIN, Paris Gallimard, 1984

« Seule l'Europe est un continent de traduction au sens où les grands textes fondateurs sont des traductions, et ne sont tels qu'en traduction , et les grandes traductions sont d'abord celles des textes sacrés[…] À la différence du coran, qui s'impose partout en Islam dans sa langue, la Bible dans le monde chrétien n'a été connue et pratiquée comme texte religieux hors du judaïsme que dans des traductions qui ont été des originaux seconds :La Septante, la Vulgate (déclarée seul texte ¨authentique¨au Concile de Trente en1546), la traduction de Luther et le King James version,la version anglaise ¨autorisée¨ de 1611 » (5)

تاريخ الأدب لا يتأتى دون المرور بتاريخ الترجمة عبر العصور، وان كان ذلك ليس موضوع دراستنا الحالية، فإننا عرجنا إليه من باب الإقرار بالدور الحضاري الذي يحسب للترجمة في تاريخ الشعوب والحضارات. يقول **جان كلود فيمار**: "مامن لغة ،وما من بلد يكتفي بذاته. يحدث الاتصال بفكر متبلور في أوطان أخرى، فإما أن يتجاوب معه العقل غريزيا وينفتح له،ويتغذى منه،حتى وان كان ذلك بمنافسته أو تقليده ، وإما أن ينغلق على نفسه كمنعكس للدفاع الذاتي و الاحتماء من هذا الفكر. لو أمكن نقل فكر أصيل بغض النظر عن اللغة التي تعبر عنه،فان ذلك لهو الحافز المقوي لمكتشفه، فتنشأ منه أفكار أصلية أخرى متوالية . لسنا بحاجة الى إثبات الانجازات المتعددة للترجمة ومجمل القول أن وظيفة الترجمة ربط الثقافات الأجنبية ببعضها البعض". (6)

إن الإشادة بدور الترجمة هو إقرار بأن أهميتها لاتنتهي ولا تنتقص حتى تحت أي ظرف من الظروف أو سبب، أو إشكال ،غير أنها في الوقت ذاته لاتحجب عنا إشكاليات وحدود العملية الترجمية خصوصا ما تعلق بثقافة المجتمعات المتباينة والتي ستكون مجال البحث في هذا الفصل .

5-Henri Meschonnic, Poétique du traduire, Éditions Verdier, II220, LAGRASS, 1999, P32. 33

6- جان كلود فيمار، المرجع ذاته، ص248

المبحث الأول :

" الترجمة و الثقافـــــة"

لقد صارت الترجمة ضرورية بفعل اختلاف اللغات والثقافات، ولكن هذا الاختلاف قد زاد في الوقت ذاته من صعوبتها. وحتى مع فهم هذا التغيير الذي ينجر عن الترجمة فإنها تظل صعبة لأن التعامل مع الاختلافات اللغوية، والزمانية، وخاصة الثقافية ليس تعاملا حياديا .

إن فضاء الترجمة هو فضاء تفاعل بين الثقافات ولكنه في بعض الحالات فضاء لايسمح بأي تفاعل، أو أنه فضاء تحدث فيه أقوى العلاقات بين الثقافات .

ليست الترجمة مجرد تفكيك لشفرة لغوية في لغة أخرى، فوراء هذه اللغة تقبع كل المكونات الثقافية وتاريخها التي على المترجم أن يوليها أهمية قصوى، وعلى هذا الأساس يحذر **Jean SÉVRY**(1) المترجم من اللغة ،لأن فك رموز هذه الطريقة في إدراك العالم ليس بالأمر الهين خصوصا وأننا ننتمي الى عالم ،والى نظام تمثيلي مختلف تماما . وفي ذلك يقول نقلا عن **Benjamin Lee WHORF**

«Human beeigs do not live in the objective world alone, nor alone in the world of social activity as ordinarily understood, but are very much at the mercy of the particular language which has become the medium of expression for their society. It's quite an illusion to imagine one adjusts to reality essentially without the use of language and that language is merely an incidental means of solving problems of communication and reflexion. The fact of the matter is that ¨the real world¨is to a large extent unconsciously built-up on the language habits of the group » (2)

"لايعيش الناس في عالم موضوعي فقط ،ولا حتى في عالم النشاط الاجتماعي فقط ،كما جرى الاعتقاد؛ ولكن تحت رحمة لغتهم الخاصة التي أصبحت واسطة التعبير في مجتمعهم. إنه حقا لأمر وهمي تصور إنسان يتعود على الواقع دون استعمال اللغة، أو اعتقاد أن اللغة ليست سوى وسيلة عرضية لحل مشاكل التواصل و التفكير. إنه لأمر مؤكد أن العالم الحقيقي مبني، لحد بعيد ودون الوعي بذلك، على العادات اللغوية للمجتمع."

1-Jean SÉVRY, une fidélité impossible, Traduire une œuvre africaine anglophone, PALIMPSESTES, N°11, Traduire la culture, Université PARIS III-SORBONNE NOUVELLE, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1998,P.137

2-Cité par M.Black , « Linguistic Relativity : The Views of Benjamin Lee WHORF, in Manners , Robert and Kaplan, David, Theory in Anthropology, London : Roultedge and Regan, 1968, P.432

-إن مبالغة **Whorf** في اعتبار اللغة مركز كل شيء وأساس قيام المجتمع ،له ما يبرره وقد فصلنا القول بهذا الخصوص في الفصل الأول من البحث. وبصفة عامة فإن اللغة ناقل للثقافة كما ورد في مؤلفات الكاتب الإفريقي **Ngugi Wa Thiong'o** في كتابه " **Decolonizing the Mind**"(3)

وهي أيضا بمثابة ذاكرة لها، وأهم من ذلك أنها هوية الشعوب الثقافية إذا ما هددها الخطر ،وبها ومن خلالها تسعى الشعوب المضطهدة والمستعمرة إلى المقاومة والوقوف في وجه الغازي الدخيل عليها.

على هذا المستوى طرح الكتاب الأفارقة مشكلتهم مع الترجمة التي صيغت منذ **Chinua Achebe** إلى **Ngugi Wa Thiong'o** كالآتي :كيف يكون بإمكاني أن أدرك الثقافة الإفريقية التي هي ثقافتي ، وتجربتي كمستعمر، في لغة ليست لغة أجدادي، ولكن لغة المستعمر؟ هل يمكن ذلك؟ هل بوسع الانجليزية كلغة ترجمة هذا الوعي ،وهذه الرؤية الإفريقية الخاصة إلى العالم بطريقة ملائمة؟

من هنا يجد المترجم نفسه محكوما بمتابعة هؤلاء الكتاب في رحلاتهم وغربتهم الثقافية إلى أن ينقطع نفسه، في الوقت الذي تظهر فيه اللغة الهدف **(la langue d'arrivée)**عدم قدرتها على استقبال كل ما تسعى لغة وثقافة المتن **(langue d'origine)**الى نقله .

إن الأفارقة ليسوا الوحيدين الذين وجدوا أنفسهم في حيرة من هذا النوع ،فهذا مثال آخر للكاتب الهندي **Raja Rao** في كتابه **Kanthapura** (4) يقول فيه:

The telling has not been easy. One has to convey in a language" that is not one's own, the spirit that is not one's own .One has to convey the various shades and omissions of certain thought- movement that looks maltreated in an alien language.
I use The word ¨alien¨, yet English is not really an allien language to us".It is the language of our intellectual make-up--like Sanskrit or Persian was before-- but not of our emotional make-up. We are all indisitinctively bilingual, many of us writing in our own language and in English . we cannot write like the English. We should not. We cannot write only as Indians. "

3-Ngugi Wa Thiong'o, Decolonizing the Mind, the politics of language in African Literature, Londres : James Curry, 1986, en particulier P.P13-15

4- Rao Raja, Kanthapura, New York :New Directions, 1938, P.7

"ليس سهلا على الواحد منا التواصل بلغة غير لغته الأم، بروح غير روحه.

إن عليه نقل مختلف ظلال تيار فكري وكل ما يرفضه هذا التيار في لغة غريبة تتجلى فيها الإساءة إلى هذا الفكر.لقد استعملت لفظة "غريبة" مع كون الانجليزية ليست غريبة عنا ،إنها لغة الفئة المثقفة -كما كانت من قبل السانسكريتية والفارسية- ولكنها ليست لغة تركيبة أحاسيسنا. نحن، دون تمييز، مزدوجو اللغة، وإن كثيرا منا يكتبون باللغة الأم و بالانجليزية، لكن لايمكننا أن نكتب كما يكتب الانجليزي، وليس بمقدورنا أن نكتب فقط كهنود."

يطرح السؤال لدى المترجم:هل أننا من خلال عملية الترجمة، نستطيع أن ننقل إلى لغتنا الهدف كل ما حوته وحملته لغة المتن من ثقافة؟

أورد **Jean SÉVRY**(5) مثالا عن ثقافة بلاد **الزولو** "**zoulou**" في إفريقيا ،فيما تعلق بنظرتهم إلى الزمن، وكيف أن ترجمتها تشكل صعوبات لايمكن أحيانا تجاوزها دون خسارة في المعنى أو إفقار للثقافة. وان الأنثروبولوجيا في هذه الحالات هي المساعد الوحيد على إدراكها. ففي ترجمته لاعتقادات **الزولو** حصل أن ترجم إحداها على النحو التالي:"على من يبدأ أن لا يبدأ من الأول وإنما من الوسط"، وانه لولا تفسير صديقه الإفريقي **kunene** :"إن كل ما نقوم به هو مواصلة للأعمال الراقية التي أنجزها سابقونا "، لما كان الأمر أكثر وضوحا بالنسبة له ،فلقد أشار **kunene** إلى أن "شعبه يقيم شعائر الأجداد ،والذين هم نموذج السلوك المثالي الواجب الاقتداء به. يتعلق الأمر بنظرة الأفارقة إلى الزمن، حيث لم يعد الماضي، والحاضر، والمستقبل لديهم يشكلون ثنائيات بل توحدوا في ديناميكية واحدة تختفي فيها الحدود التي نهتم نحن بإقامتها بين الآن، وهنا، بين الحي ،وعالم ما بعد الموت . إن الأجداد هم بالنسبة للزولو "أموات-أحياء"يمكن الرجوع إليهم في كل مرة تظهر فيها الحاجة إلى ذلك . وبناء على هذا لايمكنهم البدء،على خلاف الغربيين، من البداية ولكن من الوسط بتموضعهم في مفترق الأبعاد الزمنية الثلاثة. وذلك اعتقاد راسخ في قلب منظور إفريقي للعالم، وفي مركز تمثيل الزولو للزمن". وفي مثال آخر عن حضارة**zoulou** ثقافة الرمح والبقرة، يبين **SÉVRY** مدى صعوبة ترجمة ثمرة الدباء أو الكرنيب "**la calebasse**" ، فبعد أن تفرغ هذه الثمرة وتجفف يصبح لها من الأهمية ما يجعل ترجمتها أمرا عسيرا جدا. إذ يوضع فيها الحليب الذي هو عنصر مقدس في غذاء هذا المجتمع ،وتصير وسيلة مؤاكلة ومضايفة تمرر على كل أفراد الحلقة الذين يتشاركون شعائريا الحليب والماء ،على اعتبار كليهما رمزا لبداية الحياة وللمحافظة عليها .

5- Jean SÉVRY, Op.cit P.143

-في ثقافة الزولو يشترك كل من الإنسان والحيوان بالحب وبالخسارة. إذ يتم إشراك البقرة بكل منتجاتها (من جلدها إلى قرونها ،من روثها إلى حليبها، ومن قشدتها إلى زبدتها، والمعجم غني جدا في هذا المجال كما هو فيما يخص الثلج عند الاسكيمو) في كل أحداث الحياة المهمة ، سواء أتعلق الأمر بقربان لإرضاء الآلهة، أم بطقوس الولادة، أو بالوفاة ،أو حتى بالنصر المحقق على العدو. فعندما كان Chaka ينتصر ويستعرض جيوشه رافعين دروعا من جلود أبقارهم المحببة، كانوا يفعلون ذلك برفقة قطعانهم التي تقدم هي الأخرى عرضا،بعد أن انتظمت في فرق بحسب لون جلدها(6).

فهل يمكن بعد كل هذا إنزال بقرة الزولو منزلة بقرة أخرى عادية؟ ومن جديد لا يملك المترجم إلا أن يرثي الخسارة الثقافية التي تمثلها ترجمته، خاصة فيما تعلق بشعائر الأجداد ، ورمزية الماء ، و البقرة وغيرها من الرموز المقدسة عندهم. إن تحليل أربع ترجمات نحو الانجليزية للرواية الهندية"**Chha Mona Atha Guntha** " **(six acres et trente deux décimaux)** من طرف **Paul ST- Pierre**(7) تبدي اختلافات ،مردها صعوبة ترجمة النصوص الثقافية الهندية نحو الانجليزية، لغة السلطة الاستعمارية القديمة ، وكذا العلاقات التي تخلقها هذه اللغات في فترة وإطار ما بعد الاستعمار . في هذه الترجمة كلمات غريبة شكلت مكمن الصعوبة، نذكر منها كلمتي:**'Kos'** وحدة للقياس في لغةOriya الهندية ، و**'Ekadasi'** يوم ديني مقدس.

:"Kos"

يعرفها القاموس **Hankling-Jankling**، وهو قاموس جامع للكلمات الغريبة، و العادات ، والأعراف الهندية و الهندو- انجليزية، كما يلي : وحدة لقياس الطول؛ مسافة بين ميلين أو ميلين و نصف ، لم تعد مستعملة في يومنا هذا إلا في الريف الهندي .

كما تعرفها جملة من القواميس الانجليزية ، أهمها : **Oxford English Dictionary** على وجوه خمسة هي على التوالي: :" **cos, course, courss, cose, koss**" ، ثم يذكر : هي وحدة قياس هندية ، تتغير في جهات عدة من ميلين إلى ميلين و نصف، أو أقل من ذلك إلى حوالي ميل وربع".

إن وجود مثل هذه الاختلافات يثبت عدم استقرار العلاقات بين اللغات الهندية واللغة الانجليزية عبر

6-JeanSévry, Op.cit, P147

7- Paul ST- Pierre, Translating cultural difference : Fakir Mohan SENAPATIS Chha Mona Atha Guntha , Université de Montréal, Canada, XLII,2, 1997, P.426

الزمن، وضغوطا بين رغبة الانجليز في د مجها (لهذا جاء نطقها على **course** منذ1616) وبين إبقائها في لغتها الأجنبية "**Oriya,Hindi,Sanskrit**"

كما أن الوجوه المختلفة،واختلاف نطقها بين الانجليزية والهندية شاهد على تاريخ طويل ومعقد من عدم التوافق بين اللغتين الانجليزية والهندية، وهو أيضا إثبات لحقيقة هندية تقول أن " **kos** "ترددت كثيرا قبل دخولها الجزئي إلى الإنجليزية. فالقاموس"Oxford" يذكر أصلها الهندي في حين يعتبرها لفظا انجليزيا. ولأن اعتبار وحدات القياس أمر مهم في المشروع الاستعماري،فقد فرض شكل اللفظة من قبل المستعمر، وأدخلت القاموس ،وانعكس ذلك في طريقة الحساب والقياس الانجليزي وزاد في غنى وتنوع اللغة الهندية.

" Ekadasi "

عرفها قاموس **Hankling-Jankling** على أنها :واحد+عشرة :عند الهندوس ؛اليوم الحادي عشر من كل أسبوعين قمريين (أي من كل**'Lunar Fortnight** في التقويم الهندي):اليوم الثالث أو الرابع قبل القمر المكتمل والقمر الجديد ،يصوم المؤمنون ثلاثة أيام تضرعا للإله الهندوسي **Vishnu**.

كذلك وردت في كل من' **Boxwallahs ,Nabobs , Sahibs**'وعرفت على أنها "اليوم الحادي عشر من كل أسبوعي شهر قمري يصوم فيه الهندوس"

- كيف يمكن ترجمة هذه الألفاظ الثقافية مع كل الاختلاف الذي تطرحه كحقائق أجنبية؟
- ومع كل المسافة والهوة الثقافية التي تفصل الثقافتين ؟

تحدث **Jean-Pierre RICHARD** عن المسافة الثقافية « **La distance culturelle** » وعرفها على أنها« الفارق الموجود بين الثقافة الأصل والثقافة المستقبلة. وبحكم كون المترجم وسيطا بل وحتى مزدوج الانتماء أحيانا، فإنه مخول لتقدير هذه المسافة التي تفصل الثقافتين..(8) لكن رؤية معاكسة تجعل الأمر يطرح بصورة أخرى : ألا يسيء كونه مبدل لغة بأخرى إلى وضوح رؤيته؟ إذ أن من يغير اللغة يغير الثقافة، وينتج عن ذلك دائما عدم وضوح نسبي، يتعين على المترجم تقدير درجته،وهنا مكمن الصعوبة كلها.عليه معاينة الخط المشترك بين من يسميهم **Jean-Pierre RICHARD**"القراء المساعدين"**'lecteurs complices'** و"القراء المنفصولين"**'lecteurs exclus'** وكذا رسم خريطة المعرفة والجهل بثقافة المتن. فحين يخلق الكاتب مسافة ثقافية بين نصه وفئة من قراءه، يتوجب على المترجم ضبط وتسوية ماهو مجهول .

8- Jean- Pierre RICHARD, Traduire l'ignorance culturelle, PALIMPSESTES , N° 11, Traduire la culture, Université PARIS III-SORBONNE Nouvelle, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1998,P.151

ورد في مقال لنعيم قطان(**Naïm Kattan**) بعنوان :هل بالإمكان ترجمة الحضارات؟(9) أمثلة عديدة عن ترجمة بعض المصطلحات الدينية مأخوذة من حضارات مختلفة، بعيدة عن بعضها في الزمان والمكان.

ذكر أن لفظ"**avon**" في اللغة العبرية قد ترجم منذ قرون إلى"**péché** "، في الوقت الذي يعني فيه اللفظ"**tort** ". ولذلك تبعات أهمها أن اعتبار"**avon**" هو"**tort**"أي "خطأ" يجعله واقعا ملموسا ، بالإمكان تصحيحه في حين أن اعتباره "**péché** "أي ذنب يصبغه باللاأخلاقية ويوجب إدانة مرتكبه.

كما أورد مثالين من الحضارة واللغة العربيتين، أولهما لفظ "**Djihad** " "الجهاد" وذكر أنه قد ترجم منذ قرون مضت بالحرب المقدسة " **la guerre sainte**" .ولأن الظروف السياسية في زمن كتابة هذا المقال قد اختلفت كثيرا اليوم ، فإننا نذكر أن التلفظ ،مجرد التلفظ بهذه الكلمة اليوم ورغم معناها الديني الراقي الذي يحمل كل معاني التضحية في سبيل الله و إعلاء كلمة الحق يعني مباشرة عند متلق غير عربي وحتى عربي معنى "إرهاب" أي أن "**Djihad** "قد أصبحت اليوم تستخدم سلبا للدلالة على"**Terrorisme**".

وفي كلمتين، إن البعد بين التوجهين، و الموقفين الأخلاقيين، عائد إلى أننا أمام حضارتين.

أما اللفظة الثانية فهي"**Ijtihad**" اجتهاد" بمعنى المجهود المبذول في الدراسة ، و التي تعني تاريخيا "الدراسة التأويلية للقرآن الكريم ، و كل جهد ديني و عمل محض مبذول في سبيل شرح كلام الله عز و جل". بما أن كلام الله غير قابل للترجمة ، فإن المسلمين أتراكا كانوا أم اندونيسيين ملزمون بأداء الصلاة و قراءة القرآن باللغة العربية ، و هي لغة لا يعرفونها و لا يفقهونها . ذلك أن دلالاته لا يمكن أن تصلهم إلا في لغته الأصل الجامعة لمعانيه و للعابدين المؤمنين به، و لأن قبول الترجمة هو تقبل إرادي لخسارة أو زيادة في المعنى أثناء عملية النقل، فينجر على ذلك أن بعدا من أبعاد هذه الحضارة سيطمس ويتغرب حتى يحصل فهمه وتقبله من" الآخر".

9- Naïm Kattan, Peut- on traduire les civilisations ?, Colloque de Glendon, 1980, Meta, XXVII,4

أي بمعنى آخر يجب تعلم اللغة العربية ومن خلال هذه اللغة نلج إلى حضارتها وتاريخها أي أن المترجم يصبح أنثربولوجيا. (10)

إن ترجمة حضارة " الآخر" والتي يفلت جزء كبير منها أثناء الترجمة، ينتج عنها كتابة جديدة انطلاقا من الأصل، مساعدة لفهم الآخر. هذه الكتابة الجديدة ليست لا حضارة الأول و لا حضارة الآخر، و لكنها إحداهما غيرتها الأخرى ، و أعادت تشكيلها سلبا أو إيجابا ، إنها حضارة جديدة مغايرةلكليهما .

أما الصعوبة الثانية التي يواجهها مترجم الميدان الثقافي اللا متجانس فهي" الهوية الثقافية للشيء المترجم « **L'identité culturelle de l'objet à traduire** »إذا أفقدت الترجمة الشيء هويته الثقافية ، فإنها لم تقم بترجمته بل هدمته .

ويضرب **RICHARD .J.P** مثالا عن كتاب « **Philadelphia Fire**» (حريق فيلادلفيا) الذي محت ترجمته، عن معرفة أو عن جهل، مرجعيته التاريخية لزنوج أمريكا، فهل تبقى له معنى شرعي؟ هل بإمكان المترجم تكييف المرجعية الثقافية الأفرو- أمريكية و تعويضها بمرجعية ثقافية لضاحية من الضواحي الفرنسية " **black blanc beur** "(11) "؟. و الأمر سيان، بالنسبة لمترجم كتاب**Kipling** « **A Naval Munity** »الذي، بحجة أنه لم تعد هناك بحرية حربية شراعية كتلك التي وظفها الكاتب ثقافيا، يوظف مجالا آخر مألوفا لدى قراء الألفية الثانية كعلم الفلك مثلا؟

" ليس الأمر مختلفا، فيما يتعلق بالسلسلة الفكاهية الجزائرية**Zid ya Bouzid** عند ترجمتها إلى الفرنسية فعندما قرر الكاتب أن يلبس"**Zina**" " لباسا ساترا يغطيها بأكملها، أخذ في الحسبان أمرا ثقافيا جزائريا عربيا إسلاميا يقضي بأن المرأة لا يجب أن يظهر الرجل الأجنبي على مفاتنها. في الوقت الذي يضحك فيه الجزائري بأعلى صوته تبدو الحيرة والارتباك على وجه القارئ الفرنسي الذي لا يفهم هذا الأمر. أم أنه كان على المترجم أن يختار لباسا آخر أقل احتشاما يبرز جسم زينة ؟ (12)

10- الرجع ذاته ،ص154

11- ذاك هو الكتاب الذي جعلته مترجمة كتاب John Edgar Wideman المعنون« Brothers and keepers »الذي ظهرت ترجمته الفرنسية تحت عنوان« Suis-je le gardien de mon frère ? »

12-MANAA Gaouaou, A propos de la traduction…Traduction et différence culturelles, Université de Batna, Al-Mutargim, №10, Juillet- Décembre 2004, p.115

وهذا مثال عن إحدى المسلسلات المعروفة عالميا، والتي يشترك في مرجعيتها الثقافية عدد من الأوطان، ولكنها بما تطرحه من اختلافات في المرجعيات الثقافية جعلت الاختلاف بين ترجماتها أمرا حتميا. يتعلق الأمر بسلسلة "**Astérix chez les Bretons**".إن الترجمة الفرنسية لهذه السلسلة تطرح مشكلة لدى القارئ الألماني الذي لايبدي أي تجاوب لحسها الفكاهي، وقد يصل ربما لحد الغضب لأنه لايفهم لماذا يقوم بعض العسكريين الرومان الجادين بالرقص كالمجانين حول مجموعة من الكراسي. وتشد حيرته حين يعلم أن هذا التمرين أجري خصيصا للتعرف على الروماني الذي تطوع للتجسس على الفرنسيين، ثم إن ترجمة هذه الرقصة الأسطورية " بالكراسي الموسيقية " لا يساهم في إضاحة شيء له. فوراء هذه الكلمات، وهذه الأزياء، والسلوكات تختفي أمور، وخصوصيات ثقافية تحمل في طياتها لب النص وهي التي تضمن غايته ومقروئيته.

عن سلسلة " **Astérix**" دائما، أشار**Philippe RAPATEL** " إلى جملة من المشاكل التي نتجت عن الترجمات الفرنسية والانجليزية نذكر منها: المفارقة الزمنية " **Anachronisme** في استخدام**Cricket** "

عندما شاهد صديق بريطاني للبطلين الفرنسيين قاربه الذي أغرقه الرومان فصاح:

" **That's not cricket**" غير أن"**Le cricket** " لم يظهر إلا حوالي القرن 16، وهي مفارقة لم تتفاداها الترجمة الفرنسية: "! **Ils n'ont pas été franc jeu** " فقد ظهر مصطلح"**Franc**" سنة 1050، مقتبسا من الاسم الإثني "**Franc**" ، وأصله**Les Francs** " الذين قضوا على الاحتلال الروماني في القرن السابع.

13-Philippe RAPATEL, These translators are crasy !, ou l'art de traduire Astérix, langue et culture en ".XXll, presses Universitaires " Recherche en linguistique étrangère"contact, traduire e(s) t commenter, Les Franc- Comtoises, 2002, Diffusé par « Belles lettres »,PARIS

وهذا مثال عن وحدات القياس في نفس السلسلة، يجسد بحق الاختلاف بين الثقافات.

صاغه كاتب القصة في قالب فكاهي، في حوار دار بين **Jolitrax** و**Obélix**: (14)

Jolitrax : -Les Romains mesurent les distances en pas, nous en pieds.

Obélix : -En pieds ?

Jolitrax : - Il faut six pieds pour faire un pas.

Obélix :- Ils sont fous ces bretons !

لم يستوعب **أوبليكس**، الذي أخذ العبارة بحرفيتها، كيف أن الخطوة التي لا تستوجب إلا قدمين، تتطلب ستة أقدام(!)

من الجميل التعرف كيف حافظ مترجمو الانجليزية على الاختلاف الثقافي في القياس، والذي لم يتم دون تغيير في المفاهيم.

Anticlimax :- You measure distance in metres, we do in feet.

- انتم تقيسون المسافات بالأمتار أما نحن فبالأقدام .

Obélix :- Feet ?

- بالأقدام ؟

Anticlimax :- Yes, you'll find it quite easy once you get your hand in.

- سيسهل عليك استيعاب الأمر إذا وضعت يدك فيها (كما يقال إذا وضعت يدك في العجين) أي إذا طبقت الأمر مثلنا .

Obélix :- These Britons are crazy !

- هؤلاء البريطانيون مجانين !

لقد استخدموا هذه المرة الثنائية "قدم / يد**feet / hand**" التي فرضها الطابع الفكاهي. فنطرح السؤال الفكاهي : هل يقتبس الانجليز المسافات بالأقدام مستخدمين الأيادي؟ لتسقط بذلك الثنائية"قدم/خطوة" **Pieds/pas**الواردة في النص الفرنسي. إن لمثل هذه المؤلفات قيمتها كموروث ثقافي يسجل في تاريخ أدبها الوطني وفي التطور الثقافي للعالم.وهذا البعد يمنع المترجم من تغيير الأجزاء المكونة للبعد الثقافي الداخلي والمسافة الثقافية للمؤلف الأصلي. ومن هنا يتعين عليه تأمين نقل سليم ونقي إلى النص الهدف . من جهة أخرى، إن المسافة الثقافية الداخلية التي تنبع من التاريخ الثقافي، تشكل"جسما" غريبا، وأجنبيا عن الثقافة المستقبلة، فهو جسم ينتمي إلى ثقافة أخرى لها خصوصياتها الأدبية، إنه " نقطةعمياء " بالنسبة للمعرفة، وكاشف عن اللاثقافة، كما يقول**J. P. RICHARD** وهذه هي الصعوبة الثالثة التي

14- المرجع ذاته ،ص109

تعترض المترجم، تنشأ من تناقض وتعارض القيود المفروضة عليه: من ناحية، لا يمكنه تغيير المعالم المحددة للمسافة الثقافية، الداخلية للمؤلف الأصل، ومن ناحية ثانية، عليه أن يغير الثقافة، بحكم تغيير اللغة، مع استحالة عدم إدراك المسافة الثقافية الخارجية، التي تلغي الآخر. إذ كيف بمقدورنا المحافظة على المعنى الذي اكتسبه لفظ في نظام ونحن بصدد إدخاله في نظام آخر؟

يذكر J.P.RICHARD أنه يوجد بين "**النص**"(Texte) و "**خارج النص** " (L'hors-texte)، فضاء وسيط يحتله "**النص الملحق**" (Le Paratexte) **و** الذي يسعى فيه المترجم إلى إعادة خلق النظام الثقافي الأصل ليمكن قارئه من تحسس المسافة الثقافية الموجودة بين النص الأصل والهدف. ومن مهام المترجم إبراز مواطن عدم الكفاءة- ليس عدم كفاءة المترجم ولكن عدم كفاءة القارئ- إذ هو ملزم بعدم ترك القارئ جاهلا بما يجهل أي بمنأى عما يجهل بل يجب تبيان ذلك، والإشارة إليه، ووضع القارئ في موقف جهل وعدم معرفة؛ فعدم المعرفة أحد مكونات قراءة النص الأصل وهو البعد الذي يجب ترجمته. **"Il appartient au lecteur de ne pas laisser son archilecteur[…] dans l'ignorance de son ignorance, mais de pointer celle-ci, de l'afficher : il doit le mettre en situation d'ignorance […] l'ignorance étant l'un des éléments constitutifs de la lecture du texte source, c'est cette dimension- la qu'il importe de traduire"(15)**

ويؤكدJ.P.RICHARD على أن مايترجم ليس هو النص وإنما هو"موقف ترجمي" **Une situation de la traduction** يطلق عليه**Arendt Hannah** ، بخصوص علاقة الفرد **بمجتمعه،** تسمية **Sphère publique d'apparition (16)**(منطقة الظهور العامة) " بمعنى " مجموعة متغيرات متعلقة بالعلاقات المعقدة التي يؤديها كل من الكاتب، والقراء، والمترجمون، وحتى الناشرون، من الذين يلعبون دورالوسيط الثقافي، من خلال النص، وفي البيئة الزمكانية للترجمة، داخل حركية تاريخ الحضارات " تذكر**Annie BRISSET** ، في حديثها عن "الهوية الثقافية للترجمة" أن "موطن المعنى ليس هو النص المراد ترجمته بقدر ما هو الوسط الثقافي الذي يستدعي الترجمة، ويعلن الحاجة إليها، ويثبت ملائمتها عن طريق سلسلة من الاختيارات الدقيقة . (17) وهي بذلك تؤكد ما ذهب إليه **Luciano NANNI** ، فيلسوف وأستاذ بجامعة**Bologne** ، من أن نظرة**Umberto Eco** التي تعزو المعنى إلى ثلاثة عناصر: قصد الكاتب**(Le vouloir dire de l'auteur)** كماتسميه المدرسة التأويلية، وقصد النص **(L'intention du texte)** وقصد القارئ**(L'intention du lecteur)**هي نظرة تركت جانبا أهم عنصر هو" الوسط التأويلي"

15- جان بيار ريشار، مرجع سبق ذكره،ص.156

16-Extrait de The Human Condition, University of Chicago Press, 1958. Cité in Paul Ricoeur, Temps et récit, tome I, Paris ; Seuil, 1983, P. 350

17- Annie BRISSET, L'identité culturelle de la traduction : En réponse à Antoine Berman, PALIMPSETES, N11, Traduire la culture, Université PARIS III. SORBONNE Nouvelle, Presse de la Sorbonne Nouvelle, 1998,P.34

(**Le lieu de l'interprétation**) أي الوسط الاجتماعي، والثقافي الذي انطلاقا منه ينسب المتخاطبون والقراء، والنقاد، والمترجمون، الهوية الثقافية للفعل التخاطبي. يقول "Nanni"**(18)**

"Avancer que les trois intentions indiquées suffisent à expliquer la construction esthétique d'une entité quelconque et de ses mouvements, cela revient à penser, je l'ai dit ailleurs et je le répète ici, qu'on peut expliquer l'identité d'un bateau par l'intention de son constructeur, par celle du bateau lui-même (si l'on peut s'exprimer ainsi) et par celle du batelier qui l'utilise. C'est en oublier une autre, beaucoup plus importante, qui ne vient pas simplement s'ajouter aux premières, mais qui les précède toutes, car elle en est la matrice. Les trois premières intentions ne sont que phénoménologie superficielle, promptes à disparaître devant celle-ci de même que la neige touchant le sol se met à fondre. Il s'agit de l'intention (de la logique) de la mer, seul le" lieu mer" et sa logique peuvent rendre pleinement compte de" l'être bateau " du bateau, de son constructeur, du batelier et de ce qui unit tous ces éléments. Cela et rien d'autre. Cette intention […], j'ai proposé de l'appeler <u>intentioculturae</u>"

من المهم جدا، يضيفNanni ، ضبط هذا القصد، **(l'intention de la culture)** وهذا المنطق، إذا أردنا فهم المبدأ المكون لهوية الأشياء الثقافية. إن فهم منطق الثقافة هو القدرة على استيعاب الأسباب والبواعث على الترجمة التي أثارتها هذه الثقافة .

يوفر الوسط الثقافي ما يسميه كل من**Nanni** و**Brisset : 'le méta- code'** وهو مجموعة التعليمات، أو الأعراف التي تجعل الفعل اللغوي، الذي يتحقق بداخلها مناسبا. إن وظيفة الثقافة تتحقق لكونها موجها لتأويل النص قبل أي عنصر آخر، ما يعني في الترجمة أن الثقافة توجه وتشكل تأويل النص الأصلي. ينجم عن ذلك تقول **Brisset** ، أنه" لايمكننا الإحاطة بموضوع الترجمة دون المرور بالثقافة التي تحدده كما هو. وأننا نعترف بشرعية تأويل هذا النص بدءا من اللحظة التي تسند له فيها الثقافة هوية في إطار الترجمة".

18- Voir Nanni, 1995 , P.37-38, et aussi Nanni, 1980et 1987

« …Il s'ensuit qu'on ne peut pas circonscrire l'objet traduction sans passer par la culture qui le désigne comme tel. A partir du moment ou une culture assigne à un texte une identité-de-traduction, il faut reconnaître à ce texte le statut d'objet légitime d'interprétation » (19)

إن الثقافة تتوسط ذاتية المترجم والشيء المراد ترجمته (بفضل الأنظمة المتعددة وحتى المتناقضة وغير ، الموحدة لكليهما) ، وتؤكد هذه النظرة إلى الثقافة ما ذهب إليه كل من-**Itammar EVEN ZOHAR و Gideon TOURY** في دراستهما الترجمية من أن إسناد المعنى هو عملية خاضعة لضغوطات، و بمعنى آخر، كون الثقافة الوسط الجماعي المعقد والمتنوع، فإنها تفرض معاييرها المناسبة، بالتلازم مع مقاوماتها (**résistances**) ومحظوراتها (**censures**)لتأويل معانيها الكامنة، تماما كتأويل معانيها الظاهرة. فيقول**EVEN-ZOHAR** "، صاحب" نظرية الأنظمة المتعددة"أو "النظرية المتعددة الأنساق" **polysystem theory**)) والتي هيمنت على ميدان البحث في الترجمة قرابة خمس عشرة سنة أن "الفن والأدب لا يقومان على المطلقات، بل يظلان معطيين من معطيات الحضارة مصدرهما اثني و تاريخي في آن واحد. ومن ثم لا يمكن اعتبار نص، مهما كانت طبيعته، مجرد تجميع لكلمات، بل يبقى حصيلة لإرث طويل ولنسيج ثقافي يحمل بصماته، وهكذا فالنصوص الأدبية نصوص مركبة و متعددة المشارب، ولكل عمل إبداعي مرجعياته الأسلوبية و الاجتماعية، كما أن كل نقل يفترض عملية تحويل لشبكة من العلائق تكون مخالفة لسياق الإنتاج ". ليس هذا فحسب، فهو يرى أن " للأدب المترجم دوره في التحولات الاجتماعية والثقافية لأي أمة. ويذهب **EVEN-ZOHAR (20)**" إلى حد إعطاء رتبة **نوع أدبي**'**un genre littéraire**' للأدب المترجم، فهو يعتبر الترجمة كتابة جديدة **« Une réécriture » (20).** هذا في الوقت الذي سعت فيه النظريات المعروفة ب" **Les théories postcolonialistes**" إلى تثمين الخصوصية، والتعدد الذي يحتضنه الاختلاف، وإلى إبراز أن اللغات تتفاعل فيما بينها وتمتزج باستمرار، وبنشاط أكثر في مناطق الاستعمار إلى حد يصعب فيه عدم تأكيد هجانتها. فبعد أن كان الأجنبي قديما يعرف بالنسبة إلى السلطة الثقافية و السياسة الاستعمارية على أنه"كل ما اختلف عن المتحضر، وكل ما يشاء المتحضر أن يكون عليه، ويخفيه"؛ ما نشأ عنه تمييز " المتحضر والبربري أو ساكن البلد الأصلي، المهاجر،والإثني". بعد كل ذلك اهتمت "مقاربات ما بعد الفترة الاستعماريةLes **perspectives postcolonialistes** " بإلغاء الحواجز بين اللغات.

19- Annie Brisset, Op.Cit. P.45

20-صغور أحلام،الترجمة الأدبية بين الأسر والتحرر،المترجم العدد10،جويلية /ديسمبر2004،ص55

أما المقاربات الهرمونتية" **Herméneutique**" فقد أبرزت ، في مجال الهوية الثقافية والغيرية، أن النشاط الترجمي لا يكون ممكنا إلا بترابط الذات و الآخر في حركية تحويلية لكليهما، فهي تدعو إلى الحوار وتنفي العلاقات الطبقية لا من أجل دمجها ولكن لتسجيل العلاقة بينهما. (21)

و عن المظاهر الثقافية، و ذاتية المترجم، وعلاقته الغيرية مع الآخر، يرى **Jean Louis CORDONNIER** أنه" ينبغي كذلك أن نأخذ في الحسبان، توجهات المترجم في علاقته مع الآخر الغريب عنه، وكيف يرى الدور الذي يجب أن تلعبه ثقافته الخاصة عند التفاعل مع الآخر[...] فدور المترجم لا ينحصر فقط في نقل القيم والمظاهر الثقافية: " بل يمثل المترجم كذلك الشخص الذي باعترافه بالآخر يغير توجهات مجتمعه، يوتر 'ألفاظ عشيرته' " على حد تعبير **Mallarmé** (1877)

« Il est aussi celui qui dans sa reconnaissance de l'autre , change les perspectives de sa communauté, dérange 'les mots de sa tribu » (22)

ينجر عن ذلك فكرتين جوهريتين: الأولى مفادها أن المترجم يلعب دورا أساسيا في بناء ثقافته الأم بمعنى أنه يفكك بنيتها، يشكلها، ويعيد بناء هوية ثقافته الأم، ويفعل الأمر ذاته في الثقافة الأجنبية من خلال النصوص المترجمة. أما الفكرة الثانية هي أن أي ثقافة، مهما كان نوعها، ليست كلا مطلق الثبات و الاستقرار، و لكنها كل معقد و متباين تميزه تطورات ثابتة.

لو اعتبرنا الترجمة تواصلا بين الثقافات بمعنى أنها تنقل كما معلوماتيا، و خصوصيات ثقافية ، فإن ذلك يعني أنها تنقل ما يميز الآخر فقط و ليس الذاتي. ولكن في حقيقة الأمر فهي تنقل أيضا ما هي عليه و كيف هي مطبقة، فهي تخبرنا عن ذات المترجم، وعن ثقافته، كل ذلك من خلال علاقته مع "الآخر".وقد عبر**Antoine Berman** عن هذا الدور للترجمة مستخدما لفظ" **Translation**" " (23)و المقصود به "فضاء التبادل بين الثقافات الذي تنتقل فيه، في علاقة جدلية مع النص الأصلي، الأشكال

21-Pier- Pascal BOULANGER, L'épistémologie cinétique de la traduction : Catalyseur d'étique, Université Concordia, T.T.R. : traduction, terminologie, rédaction, Volume 17, N°2, 2eme Semestre 2004, « Traduction, étique et société, P.62

22- Jean Louis CORDONNIER, Aspects culturels de la traduction ; quelques notions clés, Université de Franche-Comté, Besançon, France, Meta, XLVII, 1,2002

23- Antoine BERMAN, Pour une critique des traductions : Jhon Donne, Paris, Gallimard, Coll. « bibliothèque des idées », 1995, P.17"

المتعددة لتحولات نصية (و حتى غير نصية) غير قابلة للترجمة [...] تمارس العلاقات الغيرية في هذا الفضاء الذي تتواجه فيه كل من مفاهيم المترجم و مفاهيم الثقافتين المعنيتين.

كل هذه التفاعلات لا تتم بمعزل عن التأثيرفي العملية الترجمية. و يشكل مجموع هذه التفاعلات النصية ما يطلق عليه **برمان**'**Translatin d'une œuvre**'

« Il s'agit d'un espace d'échange entre les cultures en présence, où à côté du original, circulent dans un rapport dialectique, 'les nombreuses formes de texte transformations textuelles (ou même non textuelles) qui ne sont pas traductives [...] rapports d'altérité s'exercent en ce lieu dans lequel se confrontent les conceptions du Les traducteur et aussi celles de chacune des cultures en présence au sujet de la littérature. Toutes ces interactions ne peuvent rester sans influence sur l'opération traduisante elle-même ». Tout cet ensemble de mouvements textuels, lorsqu'ils se produisent, constituent ce qu'Antoine Berman appelle « la translation d'une œuvre »

يدعوCORDONNIER إلى اعتماد ما يسميه « **La traduction- dévoilement** »التي إن اهتمت بإبراز"الآخر"، فإنها تسعى في حقل العلاقات التثاقفية(**Interculturelles**) ، إلى تكوين الثقافة "الذاتية"، و بذلك فهي تساهم في ظاهرة المركزية"**Ethnocentrisme**"، لكن ليس كمشكل ، كما طرحه برمان ، فهي هنا تختلف كثيرا : "إذا كان تكوين الذات في الماضي، يقوم على طمس ملامح الآخر، الغريب عن الذات. كما يعبر عن ذلك**Denys CUCHE** (24) بقوله: "إننا نعنى اليوم بمركزية تكون لنا استعمالا منهجيا"، ويذكر نقلا عن**Pierre BOURDIEU** :

« Je suis convaincu qu'une certaine forme d'ethnocentrisme, si l'on désigne ainsi la référence à sa propre expérience, à sa propre pratique, peut être la condition d'une véritable compréhension : à condition bien sŭr que cette référence soit consciente et contrôlée[...]

Il est plus difficile de reconnaître dans les autres, d'apparence si étrangers, un moi qu'on ne veut pas connaître. Cessant alors d'être des projections plus ou moins complaisantes, l'ethnologie et la sociologie conduisent à une découverte de soi dans et par l'objectivation de soi qu'exige la connaissance de l'autre »

24-Denys CUCHE, La notion de culture dans les sciences sociales, Paris, Editions La découverte, Coll. Repères, N°205, 1996, P.116

"كلي اقتناع بأن أحد أشكال المركزية- إن أطلق هذا المصطلح و أريد به الرجوع إلى التجربة الذاتية، والواقع الذاتي- يمكن أن يشكل شرطا من شروط الفهم الحقيقي إذا اعتمد هذا الرجوع بطريقة واعية، و مراقبة **[...]**يصعب كثيرا الاعتراف بوجود "أنا" لا نريد التعرف عليه داخل آخرين جد مختلفين عنا ظاهريا. فلنكف عن كوننا إسقاطات مجاملة لذواتنا. في هذا تقودنا **الاثنوغرافيا** وعلم الاجتماع إلى اكتشاف الذات من خلال جعلها موضوعية لأن ذلك ما تفرضه معرفة الآخر".

المبحث الثاني

الترجمة و الإثنوغرافيا

الترجمة و الاثنوغرافيا

يختلف منظور اللغات إلى الواقع الواحد، كما أن لغتنا هي التي تنظم رؤيتنا للعالم الذي لا نرى فيه إلا ما تبرزه لنا اللغة، مع كل ما ينجر عن ذلك خلال الترجمة.

لا يتعلق الأمر فقط بتحليل تجربة الحياة بطرق مختلفة من قبل لغات مختلفة ،إذ تدفعنا الأ نثربولوجيا الثقافية ، و الاثنوغرافيا إلى الاعتقاد أنه ليس دائما عالم واحد هدا الذي تعبر عنه بنيات لغوية متباينة ، وأننا نشهد اليوم، ثقافات و حضارات لا تعبر فقط عن رؤى مختلفة للعالم ولكن عن عوالم حقيقية مختلفة. والسؤال هو " هل بإمكان هده العوالم اللامتجانسة أن تتفاهم ، بمعنى هل بالإمكان ترجمتها ؟ إذ يستعصي على أي حضارة فهم الحضارات الأخرى.

يضرب نايدا(1) مثالا عن حضارة المايا وإشكالية ترجمة " شجرة التين" في هده المنطقة التي يوجد فيها نوع آخر من هدا الصنف، لكنه بري، و غير مثمر.

و هل نعتبر أننا ترجمنا "الكرمة" مثلا، عندما نستبدلها بشجرة من هده المنطقة، ومن فصيلتها، ولكنها لا تزرع من قبل الإنسان، ولا تعطي ثمارا و هي الأخرى؟ ثم كيف نترجم صحراء قاحلة في غابة الآمزون تحت الاستوائية؟

إننا في الوقت الذي نترجم فيه عبارات لغوية لحضارة المايا ، نترجم أيضا الصورة الممثلة للأشياء في واقع المايا ، وهو أمر يستحيل أحيانا .

إن عالمنا يضج بعوالم مختلفة ، اعتاد الاثنوغرافيون أن يطلقوا عليها اسم "ثقافة"، والثقافة المادية بكل ما تمثله من اختلافات في أنماط الحياة المادية و التكنولوجيات الملازمة لكل عصر.

يضيف نايدا أن ترجمة ميدان الزراعة لشعوب وسط أمريكا ،لا يخلو من العراقيل وأن مفهوم "الأبواب و " المدينة" غائب لدى الهنود الدين لم يعرفوا سوى حياة الترحال، أو الخيم، أو الأكواخ؛ فكيف لهم أن يفهموا معنى "أبواب المدينة "؟

1-Eugène NIDA, Linguistics and ethnology in Translation problems, word, 1945,P.194-208

ليس مفهوم الثقافة المادية، الذي ينبني على تكنولوجيات الحضارات المختلفة، حكرا على الأمم المتباعدة. يقول جورج مونان(2) أن"تحليلا داخليا لحضارة عظيمة، كالحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر، **يبرز** وجود عوالم ثقافية تفصلها ثقافات مادية هي الأخرى. فالمرور من"فرنسا" إلى "سردينيا" يخلق حرجا عند ترجمة كلمات كثيرة، خذ مثلا كلمة« **orbace** » التي تطلق على قماش سرديني مصنوع من صوف الخروف ،ينسج بالطريقة ذاتـــها مند أقدم العصور، وفق طرق بدائية دائما. فتتم تسدية **حلقة الرقبة (la chaîne)** بنفس عدد الخيوط الملوية يسارا و النسيج **(la trame)** بنفس عدد الخيوط الملوية يمـــــــينا (تبعا لوحدة القياس) . يخضع بعدها القماش إلى تلبيد بالمطرقة **(Foulonnage)** ثم بالقدم.

رغم أن الرحالة تحدثوا عنه كثيرا،ورغم أن هذا القماش يظل مطلوبا من قبل الرحالة الانجليز لعدم نفاذيته إلا أن الكلمة تظل غائبة عن اكبر معاجم القرن.

يمكن رفض المثال السرديني ، ورده بحجة أنه من حضارة قديمة جدا ، عاشت أكثر من ألفي سنة منعزلة في جزيرة، و أنها بمثابة جسم غريب تضمنته الحضارة الأوربية، كما تضمنت الحضارة الأمريكية ، حضارة**(Hopi)** ؛ ولكن مجرد العبور من فرنسا إلى ايطاليا يبرز أنه لا يمكن ترجمة كل تسميات **الجبن** الايطالي تقريبا فمن :

bucherato،marzolino،stracchino ،caciocavallo،إلىpecorino،parseman،gonzolo،و provolone والقائمة طويلة جدا، ما يثبت أنه يجب أن يمر مع الاسم الايطالي، الشيء أو **التجربة الايطالية إلى فرنسا**(3)

2-Joerge MOUNIN, Les problèmes théoriques de la traduction, Editions Gallimard,1963,P.63

3-جورج مونان، المرجع ذاته ، ص.65

تكـــــفي دراسة تسميات الخبز في منطقة **Aix-en-provence**الفرنسية، في سنة 1959، للتأكد من الصعوبات الجمة التي يمثلها تنوع الثقافة المادية داخل الحضارة الواحدة،في ا لترجمة ،والتي يتعذر على الاقتراض و المحاكاة حلها، كما في حالة جبن **parmesan**الايطالي (بالايطالية **Parmigiano**)، إذ لا يمكن محاكاة و لا اقتراض كل شيء ودائما. فقائمة الخبز تحوي على الأقل خمسين نوعا منها :**Baguette (la baguette sur plaque ;) le boulot، (la Ciotat في) la chenille، le chemin de fer، (Saint-Chamas في) (Saint-Chamas) le coupé، la couronne، l'épi، le fendu، le fil de fer، la fougasse، le fuseau، la fusée ، la ficelle، la flûte** (العادي، الطويل، الدائري، والمقطع) (هده الأخيرة ليست مترادفات)، **le gressin، le grichon** (بSerre)، **le Kilomètre** (بCiotat) ، **le pain d'Aix، le pain de mie، le pain mousseline، la main، la marseillais، Le longuet، le restaurant moulé، le restaurant sur plaque** (بمـــا في ذلك **Le restaurant و le restaurant au ciseau**أو **Charleston**)، **la rosace، le roulé، le saucisson، le seiglon، la tête d'Aix، la tière، la tresse، la torsade، le tordu، la tomate »** (بمرسيليا) ، للعلم فان هده التسميات ليست مبتكرة ، و لا خيالية شخصية ، أو غير ثابتة نتيجة التعبير الفني، كما أنها ليست كلمات تقنية يستعملها الخبازون فيما بينهم، إنها متداولة بين الزبائن، كما أن تسعة أصناف :**'boulot** ، **Roulé، saucisson، coupé، fougasse، baguette، fendu، tête، ficelle'** واردة في قرارات إدارية تحدد ثمن الخبز، و ستة أخرى : **'flûte، flûte longue، longuet، fuseau، couronne، main'** ترد في تعريفة نقابة الخبازين. فكلها تعود على أشياء مختلفة ،إما في المكونات (طحين عادي، أو طحين حلويات)، إما في الوزن، إما في الخبز (خميرة عادية levure أو خميرة العجين levain)وإما في الطهي (فرن مفتوح: قشرة ذهبية اللون)،وإما خاصة،في الشكل والمظهر مرتبطا بما سبق من المميزات. ويكفي أن راوية فرنسية ذات قيمة تتناول مجال الخبازة في هده المنطقة ، لتجعل من ترجمتها إلى الانجليزية ،أو الايطالية، أو العربية ، أو أي لغة أخرى مشكلا لا يجد حلا وبقدر الصعوبة التي يطرحها الانتقال في

" المكان "، فان أي انتقال ولو قريب ،عبر الزمن نداخل الحضارة الواحدة ،يقدم أمثلة مشابهة .إذ يجد مترجم اليوم نفسه، عند ترجمة روايات القرن التاسع عشر ،كرواية L'Assommoir ل Balzac أمام أسماء لمشروبات، وأسماء رقصات، وأقمشة، وألبسة ...الخ. تشكل تعقيدات على مستوى المترجم وحتى القارئ، تماما كتلك التي تطرحها ترجمة مفاهيم خاصة لحضارة أخرى فاللغة هي لغة أخرى، والأشياء هي أشياء أخرى.

يسهل تصور أن ثقافة اجتماعية، أن مسمياتها معنوية، تبين بوضوح صعوبة فهم الحضارات. يشرح نايدا أن ترجمة "أخ" أو "أخت" في حضارة المايا لا يعكس الأبعاد ذاتها لهذه المفاهيم كما هي لدينا ، والأمثلة عن صلات القرابة عديدة ذكرناها في الفصل الأول من هذا البحث.

كيف نترجم "أفراد الشعب" في حضارة لا تقوم بنية مجتمعها على نفس التقسيم الاجتماعي أو الطبقات الشعبية، أو الطوائف كما عند اليهود ، كيف نترجم بالبساطة نفسها رجلا يحمل جرة ماء في ثقافة مجتمع لا يفكر فيه الرجال مطلقا بالقيام بعمل مماثل .

وفي مجال الثقافة الإيديولوجية والدينية لمجتمع من المجتمعات، يشرح نايدا أن ا لتجربة الدينية لحضارتين مختلفتين تعترض مسار الترجمة ، ففي النهاية كما يقول **whorf و Korzyozki**:" إن اللغة تصنع طريقة تفكيرنا "، ما ينتج عنه بعدد اللغات، رؤى مختلفة إلى العالم، وإيديولوجيات فرعية، وحضارات يصعب نفوذ الأخرى إليها، ومن ثمة يصعب ترجمتها.

لطالما أثنى ناید ومونان على المنهج الاثنوغرافي في الترجمة ،كما لاحظنا ،فاعتبره الأول :

"The most fruithfuf approach the semantic problems of translation " (NIDA 1945 :207)

وبعد سنوات اعتبر الثاني الاثنوغرافيين مؤسسي:

"Les possibilités d'une vraie théorie et d'une vraie pratique scientifique de la traduction " (MOUNIN 1936 :214)

إن الروابط بين علم الترجمة والاثنوغرافيا قوية جدا ، فبحوث إحداهما وثيقة الصلة بالأخرى ، ونقاط التشابه لا تكف عن التضاعف خلال الأربعين سنة الأخيرة تدعو كتابات الأنثروبولوجيا و المترجم الألمانيLeinz Gohring،التي تمخضت عن تجاربه وأفكاره إلى تدريس الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع إلى طلبة الترجمة والترجمة الفورية لتساهم في تطوير مسارهم . حيث تبحث الأنثروبولوجيا في حقيقة الأفراد والجماعات اللذين لا ينتمون إلى ثقافتنا ، من خلال هؤلاء الأفراد أنفسهم، فتحاول فهم معنى الحياة، والمرض، والموت لديهم، معتبرة معنى هده الأشياء لدى رجال ونساء مجتمعنا و المجتمعات الأخرى ،فتجعلنا نستغرب سلوكات ليست سلوكاتنا (الطريقة الخاصة في الأكل، والمشي، في اللقاء، وفي التجنب، وكل الكلمات التي نتفوه بها) بحكم أننا ولدنا هنا وليس هناك.

يقولGohring (4):

"Every culture then teaches me that I could have been living that way if I were born into this culture. « Living that way » means looking, smelling, tasting, thinking, perceiving, speaking, feeling, moving, loving, hating, quarrelling and making peace, judging as beautiful or ugly, as good or bad, in short, behaving as any native, and talking all this as granted, as 'natural' as they do".(Gohring 1980 :72)

4-ŞEBNEM BAHDIR, Moving In Between : The Interpreter end the Interpreting- Researcher as Anthropoligst , Boğaziçi University,Istanbul Turkey, Meta, XLIX,2004, P.811

تقدم الأثنوغرافيا الوصف الشامل للثقافة العامة لدى منظومة أو جماعة ما. هذه الثقافة التي تتكون من مجموع النشاطات والمنشآت والتنظيمات التي تظهر من خلالها المنظومة من تكنولوجيا، وبنية الجماعة، وحياتها، ونظامها المعرفي، الحقوق، الدين، والأخلاق التي تحكمها، وكل النشاطات الإبداعية فيها.

إن المضمون الدلالي للغة ما، هو اثنوغرافية الجماعة التي تتحدث هذه اللغة وقد تبنى هدا المفهوم المترجمون الإغريقيون، واللاتينيون مند القدم. فلا تكفي المعرفة اللغوية أي معرفة الكلمات الأجنبية لترجمة المعنى، ولكن يجب أن تضاف إليها معرفة الأشياء التي يجري الحديث عنها في النص.

معرفة" معنى ومادة" النص،على حد تعبير**Etienne Dolet** (5) التي تفترض في المترجم .

"…non seulement la connaissance de la langue étrangère, mais celle du sens et matière de l'ouvrage à traduire "

لأن الترجمة ليست عملية لغوية بحتة، ولكنها أكثر من ذلك عملية مرتبطة بالسياق الثقافي للأشياء .

فلنفرض كما يقول**Bréal**، أننا لما أردنا التعرف على هيئات القضاء الرومانية لم يتوفر لدينا إلا أصول الكلمات دون تاريخها ،مثلا: **Consules**(الذين يجلسون معا)، **praetor** (الذي يمشي في المقدمة) ،**Tribunus**(رجل القبيلة)...الخ، كنا سنقرأ النصوص اللاتينية دون أن نفهمها.

معنى ذلك أن "فهم اللاتينية، والإطلاع على تاريخها،أي على انثوغرافيا العالم اللاتيني .

يقول **Bréal**:" في الوقت ذاته، الذي يشرح فيه التاريخ هذه الألفاظ، فإنه يرفقها بكم من المفاهيم المتممة لها والتي لم يعبر عنها" . ويدرك**Bréal** جيدا الدور الذي يؤديه التاريخ من وصف للمواقف و الأشياء عندما لا يمكننا معايشة الوقائع وهو الدور الذي تؤديه الاثنوغرافيا بالنسبة للغة .

وقد عبر**Meillet** عن الأمر ذاته بوضوح :" إن مفردات كل لغة تعبر عن حضارتها، إذا كانت لدينا

5- جورج مونان، المرجع ذاته ،ص.210

فكرة معينة عن المعجم الفرنسي، فمعنى ذلك أننا مطلعون على تاريخ الحضارة في فرنسا".

إن هذا النوع من الملاحظات، على أهميته، لم يلق من حبر اللغويين، البعد النظري الذي يستحقه، إذ لم يكن بؤرة اهتمامهم ،و لا مركز بحوثهم، و لطالما اتسمت الملاحظات في هذا الجانب بالعرضية، والتهميش. و حتى وقت قريب جدا، فقد اهتمت الترجمة في مجال الثقافة بالاثنوغرافيا بكل فروعها، و صار المترجم ينهل باستمرار من المصادر الاثنوغرافية ، طيلة عمله. ورغم أن المترجم قديما، كان يستقي منها منذ عهد الإمبراطوريات القديمة، ولكن دون وعي، و عن طريق الصدفة (حتى و إن ا ستغل الصدفة، و بحث بطريقة منهجية لتطوير هذه الصدفة)

« Le traducteur européen se sert sans cesse, au cours de son travail, de la ressource ethnographique, mais il l'a puisée empiriquement, inconsciemment, au hasard (même s'il exploite et cherche méthodologiquement à accroître ce hasard » (6)

في دراساته أو قراءاته الجغرافية، و الاقتصادية، و السوسيولوجية، و التاريخية، في روايات الرحالة ، المذكرات، وكل أنواع الصور، والرسوم،و الأفلام.

فلنفترض أن مترجما فرنسيا، كما يقول مونان، يعمل على ترجمة المجال الروسي، أو الياباني ، أو حتى البرازيلي، فان تجربته المزدوجة، واللامتوازنة ، التي كانت وليدة الصدفة، والتي اكتسبها عن الاثنوغرافية الروسية، أو اليابانية، أو البرازيلية،ستحجب عنه أمرا نظريا هاما جدا هو أن " ترجمة لغة أجنبية، تشترط أمرين مهمين، ولا غنى لأحدهما عن الآخر: دراسة اللغة الأجنبية، والدراسة المنهجية لاثنوغرافية الجماعة التي تعبر بهذه اللغة ". ولا تكون الترجمة ملائمة دون تحقيق هذا الشرط المزدوج، والذي ينتج عن الإخلال بأحد شقيه، شتى أنواع الأخطاء الترجمية**Les fautes de traduction** ، فهذه الأخطاء مردها إلى عدم كفاءة المعرفة باللغة الأجنبية، وكلاهما (أي الأخطاء وعدم كفاءة المعرفة

6- جورج مونان، المرجع ذاته ،ص236

باللغة) مردها إلى الجهل بحضارة تلك اللغة. ولهذا السبب بالتحديد نحكم على المترجم الذي يرتكب هذه الأخطاء بقولنا " انه يجهل اللغة التي يترجمها ".

ومن ثم فإن فهم الدلالات التي تحملها اللغة، لايكون ممكنا إلا بطريقتين، اللغة والإثنوغرافيا، ويبقى الطريق مفتوحا أمام المترجم ليذهب بنفسه ويعيش الوقائع في موطنها بغية استكشاف وفهم المعنى كله.

معنى ذلك، انه يصبح إثنوغرافيا. يقول مونان أن هذا الدور الذي لا يطرق إليه نظريا هو الذي تؤمنه الإقامة المؤقتة خارج الوطن.

في الحقيقة لا توجد طريقة للوصف والتعبير الشامل لمنظومة اجتماعية، وعن مفاهيمها المرجعية إلا بالإثنوغرافيا، بالبحث عن المرجعية اللغوية لهذه المنظومة على الميدان،لأن ترجمة المنظومة الاجتماعية يتطلب فهما أولا، وفهما واسع النطاق،لا يأتي إلا بعد أن يصير المترجم إثنوغرافيا، وان أي مترجم، ومهما كانت صفته لا يؤدي ترجمة مكتملة إلا بكونه إثنوغرافي المنظومة .

ذلك مجال الإثنوغرافيا والإثنوغرافيون، ويتحمل التاريخ ونتائج البحث في هذا المجال عناء الإجابة عن كل التساؤلات فيما يتعلق بفهم المجتمع عن طريق معايشة الوقائع والمواقف. كما أن نفي فهم هذه المعطيات والوقائع الاجتماعية التي تتم من خلال الإثنوغرافيا، هو نفي لحقيقة أن الطفل الصغير الذي يعيش في منظومة يمكنه التواصل بلغته الأم، وهو نفي كذلك لوقائع أن تكون أي لغة أجنبية قد اكتسبت وتم فهمها، وتعلمها، ومن ثم فهو إثبات لأن العقل البشري لفرد مزدوج اللغة، به ذاتين لا تتواصلان على الإطلاق، وهو أمر لا يقبله العقل.(7)

إن الإثنوغرافيا هي الوسيلة الناجعة (نسبيا ولكنها فعالة) للدخول إلى الحضارات و المجتمعات المختلفة عنا، وفهمها، ومعايشتها، لإفهامها بعد ذلك.

7- جورج مونان، المرجع ذاته ،ص.215

في حالة حضارات ومجتمعات لم تعد موجودة، فإن الحل هو العودة إلى التاريخ، كوصف إثنوغرافي للماضي، وكاستكشاف إثنوغرافي لحضارة تعرفنا على ماضيها. وهو الحل الذي يقترحه**Mounin** وقبله **Bréal** و **Meillet** ، من أجل فهم النص : معرفة حضارة هذه اللغة.

إن هذه المعرفة الإثنوغرافية للماضي هي ما يطلق عليه جورج مونان "La philologie" أو "فقه اللغة"، ويعرفها في القرن التاسع عشر **Boeckh** "علم يدرس العصور القديمة": على أنها **" La science de l'antiquité "** ، كما يعرفها **Santoli** على أنها : معرفة شاملة لحضارات معينة **"La connaissance intégrale de civilisations déterminées"** ويقول **Jespersen** أنها :

"فهم الثقافة الكلية لأية أمة"

"La compréhension de la culture totale d'une nation quelconque" .

وأخيرا،يعرفها جورج مونان كالآتي :

"إثنوغرافيا الماضي هي تعريف للتاريخ ولكن في خدمة قراءة نصوص الماضي وهي في مقابل الإثنوغرافيا التي تمكننا من دخول وفهم الحضارات الحالية المغايرة لحضارتنا. إن فقه اللغة يمكننا من دخول وفهم الحضارات الماضية المختلفة عن حضاراتنا، قد تكون ردا غير مكتمل، صحيح، ولكنه فعال لحل إشكاليات تطرحها نظرية الترجمة فيما يتعلق بالحضارات وطرق فهم العالم ".

« L'ethnographie du passé […] serait alors une définition de l'histoire, mais au service de la lecture des textes du passé .parallèlement à l'ethnographie, qui ne permet de pénétrer les " visions du monde " et les "civilisation" passées par rapport aux nôtres. Elle est une réponse, incomplète peut -être, mais efficace, aux problèmes soulevés par une théorie de la traduction, quant à ces" visions du mondes" et ces "civilisations " » (8)

8- جورج مونان، المرجع ذاته ،ص.247

المترجم و الاثنوغرافي

على خطى الأنثربولوجي **Clifford Geertz** الذي يرى في الثقافة نصا، ويعرف الإثنوغرافي على انه "مترجم ثقافي" ،فقد وجد بعض الأنثروبولوجيين من أمثال **Clifford**و **Marcus** (1986-1997)،في أعمال **Walter Benjamin** ما يستحق التفكير فيه .

وبدورهم ،ألهم هؤلاء الأنثربولوجيون منظّري الترجمة ، لدراسة علاقة الترجمة بين اللغوية **"Traduction inter linguistique"** بأدب الرحلات **"La littérature voyage"**، والكتابة الإثنوغرافية (**Valero-Garcés** 1995 ,**Tymoczko** 1999 ,**Cronin**2000 ,Wolf2000 ,**polezzi**2001)(9),

يذكر **Bruno Latour**(10) انه عندما عاد الأنثروبولوجيون الغربيون إلى ديارهم،اهتموا أولا بدراسة كل ما وجدوه شبيها بما في المجتمعات التي غادروها، من: فنون، وعادات شعبية، وشعوذة، وتمثيل رمزي للأشياء، الأرياف،المهمشون من كل صنف وجنس، وكذا المغازل وأماكن إقامة الأقليات المنبوذة (**Les ghettos**). (16 :1988 **Latour et Woolgar**)

واهتموا بالدرجة الثانية بمراكز القوة: العلم والتكنولوجيا.

أمام حجم التغيرات التي لم تحدث فقط في المجتمعات المسمّاة "تقليدية" ولكن حتى في المجتمعات التي كانت قد استعمرتها، فإن الاتجاه البنيوي أو الوظيفي الذي اهتم بدراسة المجتمعات التي اعتبرها كلا متجانسا ومتناسقا بعيدا عن العلاقات والتأثيرات الخارجية، ليجمد بذلك مجال دراسته في ماض مثالي، فإن هذا الاتجاه فقد قيمته الاستكشافية .

من ثم انتقد كثيرون،خلال الخمسينيات،بمن فيهم **Edmund R.Leach** ،مركزية الأنثربولوجيين

9-Hélène BUZELIN, la traductologie- l'ethnographie et la production des connaissances, Université de Montréal, Canada, Meta, XLIX, 4,2004,P.730

10-هيلين بوزلين،المرجع ذاته،ص735

الوظيفيين من أمثال**Radcliffe-Brown و Malinowski**، ودعوا إلى عدم إصدار أحكام مسبقة، واهتم آخرون : **Gluck man, Balandier, Bastide** بسياق التحول، ورأوا في التحول والتمزق عنصرا مكونا للثقافات، ومن ثم أساسا لفهمها.

تحيلنا النظرية الإثنوغرافية على أمور بالغة الأهمية منها : رد ورفض الثنائية "مجتمعات تقليدية/ مجتمعات عصرية" والإطار السياسي الذي سجلت فيه، وقد كان لذلك تأثيره، إذا اقترح المنظرون أن يفكروا في الترجمة على أنها ممارسة منهجي **(une pratique de métissage ou d'hybridité** (**Wolf** 2000) ، إضافة إلى(**Berman** 1984و **Nouss**) وكذا (**La plantine** 1997) ، ورفضوا كل أشكال المركزية اللاواعية، والأحكام المسبقة لأن هذا المجال هو حركة ذهاب وإياب بين ما تعودنا عليه، وما هو غريب عنا .

تعلمنا الإثنوغرافيا التي هي وصف دقيق لكل ما نرى ونسمع، والتي تأخذ بعين الاعتبار الكلمات

كما يقول :**Francis Ponge**

« L'ethnographie […] prend nécessairement le parti pris des choses, parti pris = Tenir compte des mots » (11)

أن لا إمكانية لوجود شيء دال بذاته، مستقل عن قائله،أو ناسخه،أو الباحث فيه أو حتى قائله بسذاجة.أن أبسط ظاهرة، وأصغر حركة وسلوكات الحياة اليومية، تتوارى كلها معا خلف علاقته مع الكلمات.

يكدُّ الروائي، والمترجم، والإثنوغرافي من أجل أن يتوافقوا مع ما يسعون إلى نقله. في ذلك يقول Flaubert: "من شدة تأملي للحجر،أحسست نفسي بداخله"

"A force de regarder un caillou, je me suis senti y rentrer "

11- François LAPLANTINE, L'ethnologue-le traducteur et L'écrivain, Université Lumière- Lyon, France, Meta, XL, 3, 1995, P.499

وذكر **Cortázar** ،الذي لم يكن فقط كاتبا،بل مترجما(لرواية **Poe Edgar** إلى الإسبانية)مثالا عن **Keats**ل **La lettre du caméléon**:

"Si un moineau se pose prés de ma fenêtre, je fais partie de son existence et je picore moi aussi "

"لو أن طائرا دوريا يحط قريبا من نافذتي، سأشكل جزءا من وجوده، وسينتهي بي الأمر إلى أن انقر أنا أيضا"

في هذه الكناية، افتراض إلى أن المترجم يصبح "الآخر" كما يقول كاتب **Marelle** :

"traduire c'est devenir l'autre" ، لأنه يمد جسرا وسيطا، يقول: **Laplantine** أن الترجمة تمكن الخارجي من أن يصبح داخليا، فبإدخال لغة الآخر، يتحول الخارجي إلى تجربة داخلية، ويضرب **"Vapata"** مثالا عن أكلة التي تناولها في سلفادور،والتي تركت ذوقا لايمكن أن يختلط عليه مهما تناول من الأكلات، كذلك اللغة. يقول: "في البداية تنهال عليك الكلمات كالمطر، تتعرّف على بعضها،وتبحث عن بعضها الآخر بين صفحات القواميس. عليك أن تعيش على الطريقة البرتغالية، فهل تنجح في محاولة لك غناء Samba بالفرنسية أو ترجمة إلى الألمانية . **(12)**

إن ترجمة نص، أو سلوك،أو إحساس،هو مدُ جسر بين الذات والآخر، تجاوز للمكان، ثم عودة إلى الذات،انطلاق جديد، دون راحة. إذ لا وجود للغة عالمية، ولا لمكافئات مطلقة، ولا تطابق بين الكلمات و الأشياء.

وقد شرح **Evans- Pritchard**(215:1940)معاناته عند ترجمته لبنية المجتمع في قبيلة **The Nuer** (1940: 32)، وهي معاناة المترجم والإثنوغرافي على حد سواء :

12- لابلاتين،المرجع ذاته، ص 505

"It is difficult to find an English word that adequately describes the social position of diel in a tribe. We have called them aristocrats, but do not wish to imply that the Nuer regard them as of superior rank, for, as we have emphatically declared, the idea of a man lording it over others is repugnant to them »(13)

يجدر بالمترجم كما بالإثنوغرافي في إدراك الفروق الدقيقة الموجودة بين غصن مثمر وغصن مثمر آخر،بين كلمة وكلمة أخرى، التفكير في التفاصيل وفي تفصيل التفاصيل فهي نشاطات في ثورة دائمة مع القوانين الاجتماعية واللغوية التي تتسم بالعموم، و الغموض، والتقريب، ومع الوضع الراهن للخطابات العادية. إن كلاً من المترجم والإثنوغرافي يواجهان عدم كفاية اللغة العادية بما فيها من تكرارات بالكلمات، كما يقول :**Laplantine**. في الوقت ذاته،علينا الأخذ بالاعتبار الدور المزدوج للمترجم: كمترجم للنصوص،وكمترجم للظواهر العلمية (في حالة الإثنوغرافي)،ولهذا تأثيره في النص.

إن كل ترجمة لنص من لغة إلى لغة أخرى أو أي كتابة إثنوغرافية تخضع ل***مبدأ الذاتية*** .

13-Carmen VALERO-GARCÉS , University of Alcalá de Hemares, Madrid, Spain and University of Minnesold, Minnecapolis, USA. In Meta,XL,4,1995

الذاتيـــــــــــــــــــــــة

على الباحث أن يفهم تأثيره الخاص في بناء الثقافات كما يقول **Douglas** (1995: 24)

"Turn the telescope the other way round [creating] observational reciprocity "

فلا يعتبر نفسه مجرد ملاحظ متحيز وإنما فاعلا، وكما قال Crick(1982: 25) :

"The ethnographic entreprise is not a matter of what person does in a situation but how two sides of an encounter arrive at a dilicate workable definition of their meeting"

لتسقط بذلك صورة الباحث العلمي**(Le scientifique)** الذي يجمع المعطيات**(collecting data)** وتعوض بصورة المتحدث فيصير **الحوار** بين الباحث ومزوديه بالمعلومات المبدأ الأساسي في منهج البحث. ولا يزعم الباحث أن فهمه تام، بل أن هدا الفهم الجزئي والمتحيز لايكون ممكنا إلا بمعونة من يشاركه في تكوينه ويعطي معنى للمظاهر الثقافية والاجتماعية التي هو بصدد دراستها. **(14)**

وأن هذا الميدان، كما يشيرالى ذلك**Fabien**(1983) يكتسب معناه و قيمته من تفاعل الباحث مع مساعديه.

إن المترجم، سواء كان تعامله مع نص أجنبي أو من ثقافته، فانه سيسقط عليه معارفه السابقة، فلا يترجم منه إلا ما أمكنه الإقرار به، أي بمعرفته القبلية. سيقدم لنا تأويله، تأويلا من بين تأويلات أخرى... **(Laplantine)**

وإن الاثنوغرافي لا يزعم انه معطيات، و لكنه ينظر إلى عمله على أنه سيرورة بناء تعتمد على مقابلة وجهات النظر.

14-هيلين بوزلين، المرجع ذاته،ص 736

في مجال الترجمة، قد تغير مفهوم الحوار تغيرا طفيفا، فهو يعود على الجزء الثاني من سيرورة العمل: " الكتابة". فلا يجري الحديث عن الحوار بين القارئ والشكل النهائي للمنتوج.يمكننا من دراسة دور التحالف، وروابط الثقة والمشاركة،ولكن أيضا النزاعات والصراعات داخل مشروع الترجمة .

إن مبدأ الذاتية يجعل من الكتابة(ترجمة أو اثنوغرافية)حدثا غير متكرر.

قد يكون للمترجم/الإثنوغرافي كفاءة أعلى أو أقل من غيره. غير أن عمله سيعكس لامحالة ذاتيته وأسلوبه الشخصي المعتمد، كبعض الاستعمالات المعجمية والأشكال النحوية، طبيعته في مقاربة الترجمة، فهناك ردود أفعال مختلفة تجاه نفس النص، أو في التعامل مع نفس الواقع. في ذلك علق **Toury**عن العراقيل والقيود التي تعترض طريق الترجمة والكتابة الإثنوغرافية بقوله:

« In reality, translation- like any other behavioral activity-is subject to constraints of various types and degrees, including objective, relativity and absolute rules, on one hand, and fully subjective idiosyncrasies on the other.

However in between these two extremes there lies a substantial middle ground occupied by intersubjective factors, commonly designated 'norms',which constitute the main set of constrains on it […]the existance of norms for a certain "behavioural dimension " obviously pressupposes a certain rate of conformity to them. However, this by no means implies that any single act of performance in this 'dimension' will in fact reveal the same rate of conformity, or any conformity at all to the norm in question" .(15)

-لقد ولّى زمن الإثنوغرافي المنفرد الذي يجد غاية بحثه في أرض بعيدة عن أرضه الأصلية ويعود بالمعلومات التي جمعها الى أرضه ليكتب تقريره " الصحيح " عن تلك الثقافة. ولن نتكلم عن الكتابة الإثنوغرافية كمرآة عاكسة للثقافات كما هي في الواقع، تماما كما لا نتحدث عن وجود ترجمة واحدة

15-Gideon TOURY, the translator as a Nonconformist-to-be, or How to train translators so as violate Translation Norms, Angermandte,Povisen, S.A. and Wilss, W.Edition, Artus, Danemark, 1980, P. 180-194

ووحيدة ممكنة لنص ما .

ليست الثقافة شيئا يقبل الوصف، وليست مدونة رموز ومعاني يمكن ترجمتها بدقة. كما ان وجود ترجمات عديدة تقوم على نظريات مختلفة في الترجمة، وتتغير عبر الزمن أمر يثبت ذلك.

إن إنتاج كتابات الترجمة والاثنوغرافيا وتلقيهما، متغير رغم كونها نصوصا مكتوبة أي مثبتة، فالكلمات ليست مجرد بطاقات تلصق على الأشياء، ومن هنا نقول باستحالة وجود كتابة إثنوغرافية أو ترجمة موضوعية . **(16)**

مجمل القول، أن الاثنوغرافي و المترجم من لغة إلى أخرى، كلاهما مترجم .

في حالة الإثنوغرافي، فهو يحلل و يفهم الثقافة ليترجم بعدها ملاحظاه في نصوص مكتوبة . في حالة الاثنوغرافي ، فهو يحلل ويفهم الثقافة ليترجم بعدها ملاحظاته في نصوص مكتوبة. في حالة المترجم، فهو أولا يفهم قصد الكاتب و فترته، ثم يترجم النص إلى لغة أخرى. على كلاهما أن ينجز بحثا، و يحتاجان إلى الأخذ بعين الاعتبار جملة من الظروف، الاجتماعية و السياسية، وزمن الكتابة والمقروئية...إلخ.

من الجانب النظري، يحتاج كليهما إلى أن يكون مزدوج الثقافة،ليس فقط مزدوج اللغة، لكن صعوبة تطبيق هذه القاعدة تجعلنا نتقبل نسبة هذه العملية. ولا نقصد بذلك أننا لا نستطيع أن نتحقق من شيء أو نكون على يقين من أمر، ولكن نقصد استحالة وجود حل فريد، مع وجود كم هائل من الثقافات وشخص واحد. فهل يمكن أن نقول عن شخص أنه مزدوج الثقافة ؟

في حالة المترجم، لا يعتمد الأمر فقط على معرفته و تحكمه في اللغتين، و لكن أيضا على ثقافته التي نشأ عليها و مدى تكيفه على ظروف خارجية أخرى .

في حالة الاثنوغرافي، إن الأمر يزداد صعوبة ،بدراسته و معايشته للثقافة الجديدة . فرغم المناهج النظرية التي تعينه على إتمام خلاصته، إلا أن هناك تأثيرا من الظروف الخارجية على النتيجة (الخلاصة).

16-كارمن فاليرو غارثس، المرجع ذاته، ص 561

إن كل من المترجم و الاثنوغرافي ، هما مترجمان لتجربة أو واقع**(interpreters of experience)** ولا يتسنى لهم مطلقا الفهم التام لشعب آخر، أو لتصورات فترة ما كما لو أنهم كانوا ينتمون إلى ذلك الشعب أو إلى تلك الفترة.

بمعنى أن النسبة ومعالجة المعطيات أمر حاضر في عمل كليهما، لأنهما يشتركان في عدد من الصفات كممارسين لنشاط لا ينتهي أبدا هو النشاط الترجمي.

إن العلاقة بين النظرية الإثنوغرافية ونظرية الترجمة تجعلنا نفكر في الترجمة من وجهة نظر ديناميكية، وإلى اعتبارها إنتاجا جماعيا، ومن ثم اجتماعيا .

اعتبارها عملا ينتج عن مقابلة وجهات نظر عدة، فلا يظهر المنتوج النهائي أو النص المترجم على انه مجرد انعكاس لقوانين مجتمع معين أو انعكاس لذاتية المترجم، ولكن على انه نتيجة العلاقات التي نسجها كل الفاعلين في تحقيق الترجمة .

المبحث الثالث

مقاربات لحل إشكالية ترجمة الوسط السوسيو ثقافي داخل النص

إن التطبيق في عملية الترجمة أمر في غاية الأهمية. فيما يأتي سننطلق من أفكار من سبقونا، من أجل اقتراح بعض المعالجات لترجمة الرموز الاجتماعية.

1- المقاربة الثنائية ل لادميرال " Le théorème de dichotomie de Ladmiral":

يقترح **Jean-René LADMIRAL** كحل لإشكالية ترجمة الثقافة وما تعلق بها، المقاربة الثنائية **(1). Le théorème de dichotomie**

هذه الإشكالية التي غالبا ما تعترض طريق المترجم، فلا يجد مكافئا بكل معنى الكلمة في اللغة الهدف (Lt) لما في اللغة المتن (Lo) كما توضحها المعادلة التالية :

$$X\ (Lo) \rightarrow [\ ø\ ](Lt)$$

من ثم سوف يواجه المترجم خيارين اثنين :

يقدم **Ladmiral** مثالا عن ترجمة لفظة**Faschiste français** (فرنسي فاشي)إلى الألمانية :

ألماني فاشي. إننا بهذا الاختيار قد أضفنا شحنة زائدة إلى اللفظة، لأن هذه الكلمة بالألمانية تحيل على "نازي"، وكأننا نعتنا الألماني بالنازي، ولنتخيل وقع ذلك على شاب من **Outre-rhin** الألمانية، ولد بعد سنة 1945، خاصة وأننا لم نقصد ذلك، ولم يكن إلا نتيجة اللغة الشفوية الفرنسية(Lo)، ولكنه قد أصبح لفظا جارحا للغاية. في هذه الحالة قمنا بما يسميه **"Une surtraduction" Ladmiral**

وفقا للمعادلة: $X\ (Lo) \rightarrow y + (Lt)$

والتي نتجت عما يطلق عليه : **La parolisation d'un élément de langue (Lo)**

في حين انه كان يجدر بنا أن نلجأ إلى ما يسميه **"La sous –traduction"** حسب المعادلة :

$$X\ (Lo) \rightarrow Z^{-}\ (Lt)$$

1-Jean-renè LADMIRAL, Le prisme interculturel de la traduction, PALIMPSESTES, Nº 11, Traduire la culture, Université PARIS III – SORBONNE NOUVELLE, Presse Universitaire de la Sorbonne Nouvelle, 1998, P. 21-23

نلخص المقاربة الثنائية ل **Ladmiral** في المخطط التالي :

Sur traduction :

Parolisation y+ (Lt)

X (Lo) – – – – – – – – – – →**[ø] (Lt)**

Périlangue Z^{-} (Lt)

: Sous traduction

في مقابل ذلك،يشير **Ladmiral** إلى أن الأمر لا يتعلق فقط بمشكلة فكرية، ولكن أيضا ذاتية. فيذكر أن المترجم هو الحكم، وأن لذاتيته دخل في تأويل النص وكذا في اتخاذ القرار، وذلك المقصود من المخطط ، لأن النتيجة النهائية والمجسدة في قراره تعكس كل التحليل الضمني الذي قام به.

في حالة كبر المسافة بين الثقافتين (الهوَة الثقافية الكبيرة)، لدرجة تصبح فيها ترجمة اللفظ مستحيلة، لا يترجم، ونبقي عليه، على اعتباره وجود بنيات في اللغة الهدف لا تكفي لاحتواء دلالته، وكذا بنيات في اللغة المتن خاصة بها .

في مثال عن ترجمة الكلمة الأمريكية **"Pancake"** التي ليست أي نوع من أنواع الخبز الفرنسي (المذكورة في المطلب السابق)، وليست ال**Brot** الألماني ولا حتى الكسرة العربية المغربية،يقترح **Ladmiral** أن تطبق المقاربة الثنائية، فيحكم المترجم بعد قراءته للنص، إما بأن الخصوصية الثقافية الأمريكية غير مهمة في هذا النص، فيحصرها في **La périlangue source** ويستبدلها بكلمة فرنسية مألوفة **Crêpe**. أو أنه يحكم (وهي الحالة التي تهمنا)بأن مرجعية هذه الخصوصية الثقافية الأمريكية عنصر مهم في النص، وأنها تساهم في إعطاءه لونا وطابعا محليا، أي ذوقا، فيترجمها باللجوء إلى الاقتراض**Pan – Cake** في الفرنسية (اللغة الهدف).

2- التوضيح "L'explication"عند Marianne LEDERER و المترجمين الصينيين:

2-1- عند**LEDERER :** تقترح**LEDERER** إجراءين : **التوضيح والسياق**

*التوضيح في الترجمة هوعملية جعل مرجع أو عنصرأو رمزثقافي يجهله القارئ الأجنبي، مألوفا لديه.

أوردت **Marianne Lederer (2)** مثالا عن لون الحياة، والشعب، والعائلات الهندية،وطريقة عيش المجتمع، وسياسته، وصناعته، وزراعته في عهد نهرو، سنوات قليلة بعد ما حصلت الهند على استقلالها . في كتاب ل **Vikram Seth** عنوانه "الفتى الملاكم" **(3)** ، وصف حفل زفاف الأخت الكبرى للبطلة:

"servants, some in white livery, some in khaki, brought around fruit juice and tea and coffee and snacks to those who were standing in the garden : samosas, kachauris, laddus, gulab-jamuns, barfis and gajak and ice cream were consumed and replenish along with puris and six kinds of vegetables".

ذكرت **ليديرير** أن الغربيين يقدمون في حفلات زفافهم الخبزات المأدومة**(Canapé)**،و الفرنيات المالحة والحلوة**(fours salés et sucrés)**؛(كذلك يقدم العرب حلويات شرقية متنوعة). إن الحلويات مختلفة عن بعضها البعض، لكن وظيفتها واحدة.فبالنسبة للهندي يختص كل نوع من هذه الأطعمة بحقيقة معينة، وهو أمر لايتحقق لدى الإنجليز والمتكلمين بالإنجليزية عموما، عند قراءتهم لرواية**Vikram Seth.**

مؤكد أن احتلال الهند قد ترك آثاره العميقة في انجلترا المستعمرة، والتي منها الشاي(le thé) ، والكاري **Curry** (بهار هندي)، والشوتني **Chutney**(صلصة الفواكه، و السكر، والبهارات،والخل، تأكل باردة باللحم والجبن)، في حين أن غير البريطانيين ممن يقرؤون الانجليزية، لن تكون لهم نفس الذكريات، ومع وجود كل تلك الاقتباسات من الهندية إلا انه سيكون بوسعهم تتبع أوصاف الحياة الهندية دون عناء. صحيح أنهم لن يعرفوا مرجعية الكلمات :

2- Marianne LEDERER, Traduire le culturel : la problématique de l'explicitaion,PALIMPSESTES,N° 11, traduire la culture, Université PARIS III. SORBONNE NOUVELLE, Presse de la Sorbonne Nouvelle, 1998, P.161

3-Vikram Seth. A Suitable boy, Londres, Phoenix 1993

Samosa, Kachouri, Laddu, etc. لكنهم سيفهمون وظيفتها، وسيجمعون المعلومات الدقيقة التي تعرفهم على حقيقة و مرجعية هذه الألفاظ الأجنبية بمرور الصفحات. تقول أم المعنية بالزفاف، وهي تستقبل ضيوفها :

"**Please eat something, please eat : they have made such delicious gulab-jamuns, but owing to my diabetes I cannot eat them[…] "** **(P.4)**

يفهم مما سبق أن أل : "**gulab-jamun** " حلوى (**une sucrerie**)، وتضاف هذه الصفة إلى قائمة الأطعمة المقدمة. رغم أننا لا ندري بعد ما شكل هذا ال **gulab-jamun**، وماهي المكونات التي تدخل في تركيبه.

حسب **LEDERER**، يجب أن توفر ترجمة الثقافة مقدارا ملائما و متوازنا بين الضمني **(L'implicite)** والصريح **(L'explicite)**، الذي من شأنه أن ينقل، قدر المستطاع، هذا الكل من النص الثقافي الأصلي. فكل سطر يقدم لقرائها كمية أو كما من معلومات جديدة حول العادات الهندية، يفهمها القراء، ويعقدون مقارنة بينها وبين معارفهم السابقة لنفس النوع من المواقف ليضيفوها إلى زادهم المعرفي العام.

* السياق "**Contexte** "، تقول**LEDERER**أنه يقدم شروحا تدريجية، وقد يغنينا أحيانا عن التوضيح وملاحظات الهوامش(سنشير إليها فيما بعد) هذا هو المبدأ الذي طبقته مترجمة رواية **Vikram Seth (4)** إلى الفرنسية، حيث حافظت **Françoise Adelstain** في الترجمة الفرنسية على كل الاقتباسات من الهندية، والتي منها**samosas**، **kachauris**، **laddus**، **galub-jamuns**، **barfis** ، **gajak** .

4-V.Seth, Un garçon convenable, traduction de F.Adelstain, Paris ; Grasset, 1995

فوظفتها كما هي في النص الفرنسي، وجعلت لها في نهاية المؤلف معجما خاصا للفرنسيين الذين هم أكثر أكثر ابتعادا عن الثقافة الهندية من الانجليز فيكون بإمكانهم العودة إليه متى أرادوا ذلك.

أدركت مترجمة الرواية أن مرجعية الاقتباسات المستخدمة تؤدي وظيفتها داخل السياق، ولا تعيق لا إمكانية تصور الأطعمة الغريبة، ولا تقدُم الرواية. وهناك إمكانية استخدام الإجراءين معا لحل مشكل الغموض الثقافي، فقد استخدم مترجمو إحدى قصص الكاتب الكوري**Hwang Sun-won** **(5)** بعنوان "الخزفي العجوز" إلى الفرنسية " **Le vieux potier**"، التوضيح والهوامش

"Alors, à l'automne, C'est l'apprenti qui avait fabriqué les pots de terre, des petits et des grands, des jungong, des tongong, de banong, des mossegui*"

" في الخريف، قام الصبي المبتدئ بصناعة أوان أرضية صغيرة وكبيرة، فصنع مجموعة من الجونغونغ، الطونغونغ، البانونغ، والموسيغي.لتكون المجموعة الأخيرة قبل حلول فصل الشتاء "

كان المترجمون على حق عندما اقتبسوا من الكورية أسماء الأواني الفخارية، بدل أن يبحثوا لها عن مقابلات في اللغة الفرنسية، وقد اظهروا الحاجة إلى وصف شكل الأواني في هوامش جاء فيها :

***الجونغونغ** هي أواني توضع داخل الفرن، والطونغونغ أوان متوسطة الحجم، والبانونغ أقل حجما من سابقتها (نصف حجم الطونغونغ)؛ أما الموسيقى فهي عبارة عن جفنات ذات قدم صغيرة .

- فيما يتعلق بالمفاهيم الغامضة ترحب **LEDERER** بالتوضيح**L'explicitation** وتضرب لنا مثلا آخر ورد في رواية**"Suitable Boy"** الهندية. حيث أظهرت المترجمة لفظ" **Zamindari** " في المرة الأولى مرتبطا بالملكيات الكبرى غير المنتجة:

"Il était à l'origine d'un projet de loi visant à abolir les <u>Zamindari</u>, ces grands propriétés non productives".

وتواصل بعد عدة أسطر :

"Quand votre loi sur l'abolition des Zamindari aura passé, vous serez un héros dans toutes les campagnes".

إن مجرد مجاورة الشرح للفظة المجهولة ييسر مهمة قراءة وفهم النص. والدعوة إلى توضيح أعماق، قائمة عندما يتعلق الأمر بأمور ثقافية مجهولة من القارئ، ولا يقدم السياق أي إشارة عنها، كما هو الحال في قصة كورية أخرى تحت عنوان " أرملة" للكاتب **Hwang sun-won**

"Madame Park fit du feu dans l'âtre de la cuisine. Puis, après avoir balayé le sol, elle fit coucher madame Han à l'endroit le mieux chauffé de la chambre " .

←" أوقدت السيدة بارك موقد المطبخ، وبعد أن قامت بكنس الأرضية، جعلت السيدة هان تنام في **المكان الأكثر دفئا من الغرفة".**

في كوريا قديما، كان يتم تسخين المنازل بفضل مجرى قنوات أرضية، وتنخفض درجة حرارة المنزل كلما ابتعدنا عن الموقد الموضوع في المطبخ، لذا فان اقرب مكان من الغرفة إلى المطبخ يكون الأكثر دفئا ويطلق عليه الجزء الأسفل**"La partie basse"**

هل يتوجب على المترجم نقل كل هذه الخصائص ؟.

- اعتمد المترجمون الذين كتبوا "في المكان الأكثر دفئا في الغرفة" كتوضيح للدلالة على" الجزء الأسفل" الطريقة المثلى لشرح ذلك، فالمهم هنا هو إبراز **الاحترام** الذي عاملت به" السيدة بارك"،" السيدة هان" . الأمر الذي لا يتأتى إلا بتوضيح معمق.

في نفس القصة، وبعد صفحتين، حكم المترجمون بضرورة توضيح معمق لمفهوم آخر يلعب دورا مهما جدا في القصة :

(…) parmi les gens des villages de la région. Le jeune mari n'y échappa pas, après dix jours de fièvre, il mourut. Son épouse avait tout essayé pour le sauver :

Elle s'était même coupée un doigt, suivant les conseils des vieux, pour lui donner à boire du sang frais. Mais ses efforts (…)

يقول النص الكوري: "لقد قطعت إصبعها، عملا بنصائح العجائز". ما يجعل قارئ النص بهذه الطريقة، يتساءل حول سلوك هذه المرأة. وقد يجعله يتوصل إلى احتمالات ونتائج خاطئة: قربان للآلهة أو شيء من العادات الدينية البربرية. لكن المترجمين العارفين بالثقافة التي نتج عنها مثل هذا السلوك، قاموا بتوضيحها في بضع كلمات:" لتوفر له دما نديا يشربه"، وهي إضافة تنير القارئ، لان القصة تروي إخلاص البطلة وتفانيها في خدمة زوجها. فكان من الضروري تقديم توضيح داخل النص .

وقد يلجأ أيضا إلى استخدام هوامش وملاحظة في آخر الصفحة للتوضيح أكثر لأن ذلك في غاية الأهمية من الناحية الاثنوغرافية:

إن المرأة التي مر على زوجها عام، والمخلصة لزوجها، ملزمة بقطع بنصرها في حالة مرض زوجها مرضا خطيرا-لأن هذا الإصبع يدعى أصبع الدواء- وتحاول إنقاذه بجعله يشرب دما طازجا .

تقوم هذه العادة كدليل قاطع، عند الكوريين، على وفاء المرأة وتفانيها في خدمة زوجها.

هذا مثال آخر قدمته **LEDERER** عن ترجمة الثقافة الإثنوغرافية ،وهو نص مقتطف من رواية صينية شهيرة،من القرن الثامن عشر،بعنوان« **le rêve dans le pavillon rouge** »[6]"حلم في مبنى الجناح الأحمر"، ترجم إلى الفرنسية وإلى الانجليزية.

مقارنة الترجمتين لنفس النص، تبين اختلاف الوجهات والمعالجات في مقاربة لترجمة، وهو أمر ناتج من جهة عن اختيار المترجم و ذاتيته، ومن جهة أخرى عن اختبار الجمهور القارئ، حيث كتبت الترجمة الفرنسية لكوكبة من الشعراء و الكتاب ، أما الإنجليزية فقد كانت في بكين. و هما تصفان المسكن وتجهيزاته بدرجة مختلفة في الدقة.

6-Cao xuegin et Gao, E.Hong lou meng, Beijing : Renmin Chubanshe,1974, Le Rêve dans le pavillon rouge traduit par Li Tche Houa et Alezaïs, J.Paris : NRF,Gallimard,1981 ; A Dream of Red Mansions, raduit par Yang-Yi et Yang, G., Beijing : Foreign Languages Press,1978

Traduction anglaise	Traduction Française
« The large **kang** by the window was covered with a scarlet foreign rug. In the middle ware red back-rests and turquoise bolsters both with dragon-design medallions and a long greenish yellow mattress also with dragon medallions.	« Au bas du mur supportant les croisées, s'amorçait la maçonnerie du grand lit de brique à **Hypocauste***, sur lequel était étalé un tapis d'outremer, de couleur dite sang de singe. Au fond, au milieu' étaient disposée un traversin d'appui de satin rouge vif bordé de petits macarons d'or, à dessins de dragons et un matelas de repos d'un brun dit parfum d'automne à décor semblable »

أبقى المترجمون إلى الانجليزية على لفظة « **kang** »الصينية و كلهم ثقة بأن القارئ الإنجليزي أو المتحدث بالإنجليزية، سيفهم الشيء المقصود من خلال السياقات المتكررة. على عكس الترجمة الفرنسية، ترجمت اللفظة « **kang** » إلى" سرير كبير من الآجر مزود بفرن"**Hypocauste**.وأضاف المترجمون شرحا لها في آخر المؤلف: "بناء من الآجر يحتل عرض الغرفة أسفل النوافذ، يتم تسخينه من الأسفل، إما باستعمال نار توقد في فتحة من البيت خارج الغرفة، وإما بوضع مدفأة داخل الغرفة تحت سرير الآجر". لقد عمد المترجمون الفرنسيون إلى تزويد القارئ بكل تفاصيل الحضارة الصينية التي يجهلها، ولادراكهم بأهمية ذلك في الترجمة.

من الذين يدعون إلى التوضيح كذلك، المترجم الصيني **ZHANG XINMU** (7) .ويقترح أن تتم ترجمة العادات الاجتماعية في مرحلتين: مرحلة ترجمة لغوية في النص ثم تأويلية في هامش. فداخل الهامش نترجم هذه العادات على المستوى المعجمي دون الإكثار من العناصر التي تشوش مقروئية النص. وفي المرحلة الثانية تتم إما داخل النص بالتوضيح، وإما عن طريق ملاحظة هامشية أسفل النص.

-في حالة التوضيح داخل النص، يضرب مثلا عن" فعل تحريك الرأس" الذي يمكن أن يسبب غموضا لدى القارئ الصيني، لأن "هز الرأس من الأسفل إلى الأعلى" يرمز إلى عدم الموافقة بالصينية، في حين أن" تحريكه من اليمين إلى اليسار" يعني "الموافقة". معنى هذه الإشارة معاكس تماما عند غيرهم.

7- ZHANG XINMU,Les signes sociaux et leur traduction, Université de Nankin, Chine,Meta, XLIV,1,1999 ,P.117

فيستحسن هنا أن نوضح عندما نترجم "هز الرأس كدليل على الرفض".

-إن جلب الأقحوان في جنازة أمر عادي عند الغربيين، يضيف المترجم أنه يستحسن عند ترجمته إلى الصينية مثلا إضافة " كرمز للخشوع أو التواضع"، لأن الأقحوان عند الصينيين يرمز إلى الأناقة والعلو.

-يؤول التأخر المتعمد لضيف على العشاء "بالتأدب و احترام ربة البيت" عند الغربيين،إلا أن التأخر في الصين على دعوة صديق لك هي عكس ذلك، فنلجأ في الحالة الثانية إلى إضافة ملاحظة على الهامش.

3- تسنيد الترجمة عند برمان L'étayage de la traduction chez Berman

يقترح برمان، كحل لمشاكل ترجمة الثقافات ما يسميه**'L'étayage de la traduction'**(8)أو تسنيد الترجمة، ويعرفه:

« L'étayage de la traduction comprend tous les paratextes qui viennent le soutenir : introduction , préface, postface,notes, glossaires,etc. La traduction ne peut être 'nue' sous peine de ne pas accomplir la translation littéraire. Aujourd'hui, les étayages traductifs proposés par l'age classique puis par l'age philosophique (XIXe siècle), ne suffisent plus. Ils doivent être - et sont en train de l'être par certains traducteurs-repensés. La question de ces nouveaux étayages, et d'un nouveau consensus à ce propos, et d'un importance cruciale ».

والمقصود من تسنيد الترجمة هو كل الأبحاث التوثيقية التي يقوم بها المترجم، وكل القراءات الضرورية لإنجاح العملية الترجمية، ويضم التسنيد: المقدمة، والمدخل، والملحق، والملاحظات، والمعاجم، إلى غير ذلك. وكما يقول برمان، " لا يمكن للترجمة أن تكون **جرداء** تحت طائلة النقل الأدبي. إن التسنيدات التي اقترحها القدامى ثم بعدها الفلاسفة(في القرن التاسع عشر) لم تعد كافية، لذا يجب إعادة التفكير فيها كما يفعل الآن، بعض المترجمين، لأن إجماعا جديدا حولها أمر جوهري ".

8-Antoine BERMAN, pour une critique des traduction : Jhon Donne, paris, Gallimard, coll."Bibliothèque des idées", 1995, p.68

- وفي موقع آخر تحدث برمان عن **La translation أي:** تضمين المؤلف الأصلي وثائق غير ترجمية (بحوث تاريخية، مقالات نقدية...الخ) تهدف إلى تزويد القراء الجدد بدليل يمكنهم من استيعاب الثقافة الأصل، والحل النظري الأمثل لإشكالية نقل الثقافة في حالة عدم توافق مجالي التفكير هو المحافظة على النظام الثقافي الأصل داخل النظام الهدف، ويتسنى للثقافة المستقبلة، بعد ذلك، أن التخلق بوسائلها الخاصة النظام الثقافي الأصل، بما يمكن على الأقل من تفكيكه لإكسابه المعنى بفضل التفسير، والشرح، والتعليق، والنقد، واستخدام الحواشي.

4- الملاحظات التفسيرية والحواشي أو الهوامش :

لطالما أثير جدل حول هذه الطريقة، التي وإن أثقلت كاهل النص الأدبي وجعلت قراءته تنقطع رغما عنها، كما يقول احد الكتاب الأمريكيين أن النص المليء بالملاحظات التفسيرية أشبه ما يكون بعريس يضطر ليلة عرسه لفتح الباب عشرات المرات،إلا أن بعض الكتاب لا يمتنعون من إرفاق بعض الملاحظات التفسيرية في نهاية النص، يتضح من خلالها للقارئ بعض المفاهيم الثقافية الخاصة، ولم لا تضاف حتى بعض المداخل والملاحظات التي تزيد فعاليتها من ترغيبنا فيها. وفي ذلك يقول**Jean SEVRY** : "إنها ثمرة جهود معتبرة تمكننا من إدراك الثقافة المعينة، كما أنها صحيحة، وتتضمن رغبة الغريب عنا في أن يعترف به كما هو، بكل اختلافاته وغرائبيته **(9)**

- و يدعو إلى هذه الطريقة أيضاJean- Pierre RICHARD، قائلا : " أن على المترجم تعويض القصود،والجهل بوضع ملاحظات، وحواشي، وتفاسير، ولم لا مضاعفة هذه الملاحظات لتوضيح الحقيقة للقارئ الهدف كما هي عند القارئ الأصل الذي عايشها **(10)**

- أما **ZHANG XINMU** فحيث المترجم إلى عدم الاكتفاء بقاموس ثنائي اللغة وأن عليه أن يتسلل إلى التاريخ، إلى العادات، والثقافة وخاصة الحياة الاجتماعية التي وجدت فيها الرواية للترجمة.

9-JEAN SEVRY, Opcit. P.147
10-JEAN-PIERRE RICHARD,Opcit. P.156

ويدعوه للجوء إلى استخدام الحواشي، رغم بعض عيوب هذه الطريقة، لأن عدم التأويل في هذه الحالة، يؤثر سلبا على الفهم، فتفشل وتسقط الترجمة في أداء مهمتها . إضافة إلى ذلك فالعادات هي أنظمة رموز، ولكل نظام انسجامه وتناسقه الكلي. لذا علينا أن نراعي ذلك، ونعالج ترجمة هذه الرموز بطريقة خاصة، فالنجاح يتعلق بالمعرفة، والكفاءة، وكذا العبقرية الإبداعية للمترجم. (11)

5-المحافظة على الغرائبية و رفض التكييف عند Annie Brisset و **ZHANG XINMU**

تنطلقBrisset (12)من ترجمة المسرح الكبكي التي تسعى إلى إدخال النص الأجنبي في الخطاب الخاص مؤكدة أنه من الخطأ الاعتقاد أن إخفاء الآخر، والاستحواذ على النص لجعله كبكيا أمر ضروري لترجمة المسرح إلى اللغة الكبكية:

« On aurait tort de croire que l'occultation de l'Autre, la réappropriation et la québécisation du texte sont intrinsèques à la traduction théâtrale au Québec »

وأن المترجمين الذين يترجمون إلى الكبكية " يمارسون وظيفة إيديولوجية أكثر من كونها حقيقية توفيقية"(13) ، لذا فإنهم لا يسعون إلى إبراز المؤلف الأجنبي بما فيه من نوعي و مستجد.

« (…) Ne cherchant pas à présenter l'œuvre étrangère dans ce qu'elle a de Singulier ou d'inédit »

-وفي السياق نفسه يدعو المترجم الصيني **Wang Yuelun** ، في مؤلفه :

« De la 'coupe du nez et de l'œil » (14) ، إلى أن نحافظ على الغرائبية:

« On doit conserver non seulement le contenu, mais aussi les us et les coutumes, les éléments culturels et historiques étrangers, les archétypes, les figures, les expressions Imagées, les citations littéraires, etc. »

11-ZHANG XINMU, opcit. P.120
12-Annie Brisset, Sociocrituque de la traduction :Théatre et altérité au Québec(1968-1988) .Longueil, Le Préambule,1990,P.347
13-Brisset, opcit,P.309
14-WANG Yuelun, De la « coupedu nez et de l'œil » à la conservation de l'exotisme,1984, Essaie de traduction rédigé par Luo Xinzhang,Presse commerciale,P.933-941

- من المترجمين، و المنظرين من يجمع بين المقاربات السابقة كلها، ليترك للمترجم مجالا أوسع في توظيفها،كل واحدة في الوقت والمكان الذي يحكم المترجم بالحاجة إلى استخدامها فيه.

من أولئك نذكر**Paul ST Pierre** الذي اقترح:

1- الانتقال بين المألوف والغريب مع الإبقاء على الاختلاف الأصلي في النص المترجم. عملا بقول **Meier Carol** عن الترجمة أنها "فضاء هجين، فضاء تفهم فيه الأشياء الجديدة دون أن تكون مألوفة كما هي عليه في الأصل، ودون أن تبدو غريبة كليا، لا يمكن النفاذ إليها.**(Meier and Dingwaney 1995 :31)** مضيفا أنه من الضروري الانتقال بين المألوف و الغريب لإنتاج ترجمة توفيقية ، تحفظ فيها الفضاءات المختلفة للإبقاء على تأثيرها في النص.**(15)**

2- التوضيح و الإضافة داخل النص، على اعتبارأن هذا الإجراء يمكن من إبراز أهمية المرجع الثقافي للقارئ الذي قد لا ينجح في فهم دلالته، فيغير بذلك سياق النص و الترجمة. إن هذا التوضيح يوفر رموزا مألوفة للقارئ الذي قد يضيع داخل الاختلاف الثقافي.

3- المعجم والهوامش المساعدة، فيضمن النص معجما يحوي العبارات ويشرح الجو الثقافي للنص، مثلا في حالة الكلمات الثقافية الهندية التي يستعصي فهمها على غير الهندي، يقترح المترجم وضع معجم **(un glossaire)** للأيام **(jamastami, ekedasi…)**في التقويم الهندي ، لعبارات وصيغ التلطف **(Saantani, Saant)** ، وللألفاظ التي تعبر عن الطقوس الدينية.**(Vaisnava, tulasichoura, tulasi)** أما الهوامش فهي عناصر مساعدة على فهم تاريخ الأشياء و الوقائع.

15- Paul ST-Pierre, Opcit.P429

خاتمـــــــــــــــــــــــــــة

إن الترجمة تواصل، والتواصل سواء تم في إطار أحادي أو متعدد اللغات لا يكون كليا، وهذا الأمر تؤكده قراءة مؤلفات الكتاب المزدوجي الثقافة. ليست الترجمة بمنأى عن ذلك، فلا يمكن ترجمة الثقافة الأجنبية برمتها . لذا علينا تقبل و تهنئة نقل جزء كبير من الثقافة عبر الترجمة إلى الآخر، لتقرب بذلك شعوب العالم.

إن الاختلاف، و بخاصة الاختلاف الثقافي هو واقع من قلب الترجمة. ولأن الاختلاف موجود، فقد وجدت الحاجة إلى الترجمة. ولإمكانية مناقشة هذا الاختلاف، فإن الترجمة ممكنة. حدة هذه المناقشة في ازدياد متواصل، كلما التقت اللغات، والنصوص، والثقافات التي يطرح تأويلها إشكالية، لأجل ذلك أيضا، تحظى الترجمة بأهمية خاصة.

من ثم يتعين على المترجم أن يعي الخصوصية الثقافية و ضرورة توضيحها، فيقدرها نسبة إلى المؤلف كله، دون أن يعطيها أكثر و لا اقل من وزنها فيه، على حد قول LEDERER

« Ne pas cacher la fôret par les arbres » ، فلا يضيع قيمة النص بحثا عن معاني الألفاظ،

ولكن حين يتعلق الأمر بخصوصيات ثقافية مجهولة يتعذر فهمها وإدراك قيمتها التي اكتسبتها في حضارتها الأصلية فإنه يتوجب التركيز عليها، والتعمق فيها، وتوضيحها.

إننا لا نسعى، بأي حال من الأحوال، إلى اقتراح الطريقة المثلى في نقل النص الأصلي عبر الترجمة، ولكن إلى دراسة بعض الإمكانيات و المقاربات لحل الإشكالية التي تمخضت عن إلتقاء اللغات، والثقافات،والاختلاف، ومناقشة هذا الاختلاف، صرنا واعين بضرورة ترجمة الآخر إلى لغتنا الخاصة. و بفضل هذا الوعي صرنا قادرين على التقليل من هذه الإساءة التي تصيب الآخر المترجم كما تصيبنا نحن.

الفصل الثالث

القسم التطبيقي

الفصل الثالث : " القسم التطبيقي "

تمهيد

- المبحث الأول : تقديم المدونة-رواية كانديد-

- المبحث الثاني : دراسة تحليلية لمظاهر الثقافة الاجتماعية الواردة في الرواية

- المبحث الثالث : دراسة نقدية

خاتمة

1-1 تقديم شخصيات الرواية

بارون و بارونة ثاندر تان ترونخ: *أصحاب قصر ثاندر تان ترونخ الألماني.*

كان السيد البارون أحد أقوى الأسياد نفوذا في مقاطعة ويستفالي ، وقد وصف قصره في الرواية بأنه الأجمل والأفخم بين القصور.

أما السيدة البارونة، التي كان يزيد وزنها عن مئة و اثني عشر كيلوغراما،فقد كانت شخصية مهمة، تستقبل الزوار في بيته حسب الأصول، وكان الجميع يبدي لها الاحترام و الولاء.

-كونيغوند : *ابنتها البالغة من العمر سبعة عشر عاما، كانت نضرة، وطاهرة، وجذابة، ورائعة الجمال .*

-ابن البارون: وريث اللقب،كان ولدا خليقا بوالده، وسيما جدا، وكان ممشوق القامة ، ذا حاجب مرفوع ، و عينين كبيرتين، وكان دائم الثقة بنفسه. أصبح، فيما بعد، يسوعيا في الباراغواي.

-كانديد: صبي منحته الطبيعة الطباع الأشد وداعة .كان محياه خير دليل على روحه ، و كان حكمه مستقيما جدا ، و تفكيره بسيطا جدا ، ولهذا كان يكنى بكانديد(الساذج). يعتقد أنه ابن أخت السيد البارون و ابن رجل نبيل و طيب من الجوار، لم تقبل أم كانديد الزواج منه أبدا لأنه لم يحصل إلا على إحدى و سبعين درجة من درجات النسب، و لأن باقي أفراد عائلته قد أفلستهم نكبات الدهر.يعيش كانديد على حب الآنسة كونيغوند.

-الدكتور بانغلوس: فيلسوف يدرس " علم ميتافيزيقيا اللاهوت الكوني" دائم التفاؤل يؤمن بأن " الأمور لا يمكن أن تتم على غير هذا النحو، لأن كل شيء قد تم من أجل غاية محددة، وبالضرورة من أجل الغاية الفضلى، و أن كل شيء يسير على خير ما يرام في هذا العالم الذي هو أفضل العوالم ". كان يحب باكيت .

باكيت: وصيفة البارونة، شابة سمراء ، وجميلة ، ووديعة جدا . تصبح فتاة هوى و تنقل عدوى مرض السفلس إلى الدكتور بانغلوس من راهب فرنسيسكاني . تتعرف على أصناف من الرجال ثم تصير في النهاية رفيقة للأخ جيروفليه.

-***جاك:***رجل هولندي محسن،يملك مصانعا لخياطة القماش الفارسي .لم ينل يوما سر العماد، لكنه يقول بإعادة التعميد. يحسن كثيرا إلى كانديد و أستاذه بانغلوس. يموت غرقا في مرفأ لشبونة في محاولة لإنقاذ أحد البحارة.

-***مارتن:***فيلسوف مانوي، و عالم مسكين ، عمل عشر سنوات عند بائع كتب في أمستردام.

رجل طيب ، سرقته زوجته، ضربه ابنه، وهجرته ابنته. أجبر على ترك عمله الذي يعتاش منه، وكان واعظوا هولندا يلاحقونه لأنهم يعتقدون أنه سوسيني ، يصبح رفيقا لكانديد.

- ***كاكامبو:***خادم كانديد، ربع اسباني من سواحل اسبانيا، كان صبيا في المذبح، وملاحا، وراهبا، ووسيطا، وجنديا. يصبح ساعد كانديد الأيمن، يحبه كثيرا، ويخدمه بتفان.

-***العجوز:***وصيفة كونيغوند، رفيعة النسب ، فقد ولدت ابنة البابا أوربان العاشر و أميرة باليسترينا.تربت في قصر أكبر من قصر بارون ألمانيا، و خطبت في الرابعة عشر إلى أمير عاهل في ماساكارارا الإيطالية. غير أن سفينة قراصنة اصطدمت بهم فخطفوها ، ونكلوا بها ، وسيقت بعد ذلك مع العبيد إلى المغرب، ثم إلى الجزائر حيث أصيبت بالطاعون، ثم ، ثم إلى الجزائر حيث أصيبت بالطاعون، ثم إلى تونس، وبعدها إلى طرابلس ، ومنها إلى الإسكندرية ، ثم أزمير،ثم إلى القسطنطينية أين أصبحت خادمة، وظلت كذلك لبقية حياتها.

-***الأخ جيروفليه***:راهب يمقت الدير وكل الرهبان ،لأنه أجبر على ارتداء ثوب الرهبانية في الخامسة عشر من عمره ، من قبل ابيه حتى يحصل أخوه البكر على حصة أكبر من الثروة . أصبح تركيا ، ينفق الأموال على الفتيات. يتعرف على باكيت و يصير رفيقها.

2-1 ملخص الرواية

تربى كانديد في قصر بارون ويستفالي تحت إشراف الفيلسوف بانغلوس الذي كان يعلمه أن كل شيء يسير نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة. أحب كانديد ابنة البارون، الجميلة كونيغوند ، فضرب بالعصا بسبب ذلك و طرد من القصر. ثم انخرط رغم انفه في جيش البلغار، ولمنه ما لبث أن هرب إلى هولندا حيث التقى بمعلمه الفيلسوف بانغلوس الذي كان في حالة سيئة جدا. أعلمه بانغلوس أن القصر احترق بكامله و أن البارون و زوجته وابنه وابنته قتلوا جميعا. ثم توجه الاثنان نحو لشبونة حيث شاهدا الزلزال المدمر. وسرعان ما حكما بالإعدام بسبب أفكار بانغلوس، لكن كانديد نجا من الموت و اعتنت به امرأة لم تكن سوى خادمة كونيغوند. حكت له هذه الأخيرة كيف استطاعت النجاة من الدمار الذي حل بأهلها و كيف وصلت إلى لشبونة ، حيث تعيش بوصفها عشيقة رجل يهودي و المفتش الأكبر. انتهى كانديد بأن قتل هذين الرجلين و هرب مع حبيبته في مركب يتوجه إلى أمريكا .

نزلا من المركب في بيونس أيرس. لكن كانديد اضطر إلى أن يفترق عن حبيبته لأنه كان هاربا من محكمة التفتيش. فذهب إلى الباراغواي، حيث وجد شقيق كونيغوند الذي أصبح يسوعيا. تخاصم معه فقتله، وخلال هروبه جرفه النهر باتجاه مملكة خيالية هي الإلدورادو. في هذا البلد حيث الحجارة من ذهب و الماس، شاهد كانديد كيف تكون السعادة الفعلية.

ولكنه غادر هذا البلد الجميل محملا بثروة طائلة و ركب السفينة باتجاه أوربا، بصحبة العالم مارتن الذي هو نقيض بانغلوس . فبالنسبة إليه ، كل شيء سيء جدا و لا وجود للخير على وجه هذه الأرض.

بقي كانديد و العالم في باريس يومين و لم يصادفا في هذه المدينة سوى اللصوص و المحتالين ، ثم توجها إلى انكلترا ، و توقفا أخيرا في البندقية حيث صادفا الملوك المنفيين الذين جاؤوا إلى هذه المدينة لمشاهدة الكارنفال، هناك يلتقي كانديد بكاكامبو الذي يخبره أن كونيغوند توجد في القسطنطينية في هذه المدينة يلتقي كانديد بالفيلسوف بانغلوس الذي نجا من الإعدام و بابن البارون الدي لم يقتله كانديد عندما ضربه

بالسيف في الباراغواي، بل جرحه. أما الجميلة كونيغوند التي كانت أمل كانديد و حبه الأكبر ، فقد أصبحت ذميمة و عجوزا و حادة الطباع ، رغم ذلك تزوجها كانديد و استقر الاثنان مع كل رفاقهما في قطعة من الأرض. هناك كان شغل كل واحد منهم أن يهتم بزراعة حديقته.

المبحث الثانـى

دراسة تحليلية لمظاهر الوسط السوسيو ثقافي في رواية كانديد

تصنيف مظاهر الوسط السوسيو ثقافي الواردة في رواية" كانديد"

1-الطبقات الاجتماعية

الطبقات الاجتماعية	ترجمتها في الرواية	الصفحة
Le roi	الملك	ص137
L'empereur	الإمبراطور	ص263
Le monarque	الملك	ص183
Le baron	البارون	ص31
Le milord	الميلورد	ص213
Le marquis(e)	الماركيز(ة)	ص217
Le doge	الدوج	ص243
Le vizir	الوزير	ص263
Le cadi	القاضي	ص293
Domestique	خادم	ص261
Page	خادم	ص55
Estafier	خادم	ص115
Laquais	خادم	ص125
Valet	خادم	ص125
Servant	خادم	ص135
Cuistre	خادم	ص127
Suivante	وصيفة	ص53
Femme de chambre	وصيفة	ص35
Fille d'honneur	وصيفة	ص101

2- العادات و الممارسات

العادات و الممارسات	ترجمتها في الرواية	الصفحة
Payer mon écot	أدفع ثمن طعامي	ص39
L'anabaptiste (anabaptisme)	قائل بإعادة التعميد	ص49
Autodafé	احتفال بالحرق حفل إعدام إعدام	ص69 ص83 ص81
Le jour de Sabbat	يوم السبت	ص81
« je suis né à Naples, on y chaponne duex ou trois mille enfants tous les ans »	"لقد ولدت في نابولي، حيث يخصون ألفين أو ثلاثة ألاف ولد كل سنة	ص109

3-الملبس

الملبس	ترجمته في الرواية	الصفحة
Une mitre	قبعة	ص69
un san-benito	سنبنيت	ص69
« garçons et filles vêtus en drap d’or »	"شبان و فتيات يرتدون قماشا ذهبيا"	ص157
« les enfants du village, couverts de brocarts d’or »	"أطفال القرية يرتدون البر وكار الذهبي"	ص155
Une épée Le cimeterre	سيف سيف	ص89 ص105

4- المسكن

المسكن	ترجمته في الرواية	الصفحة
La baronnie	بارونية	ص53
Le sérail	سراي	ص113
Un hospice	منزل الضيوف	ص169
L’antichambre	غرفة الانتظار	ص161

5-وحدات القياس

وحدات القياس	ترجمتها في الرواية	الصفحة
« livre » « trois cent cinquante livres »	"مئة و اثنتي عشر كيلوغراما"	ص33
« Lieue » « deux lieues »	أربعة كيلومترات	ص41
Arpent	فدان	ص299

6-النقود

النقود	ترجمتها في الرواية	الصفحة
Florin	فلورين	ص49
Sequin	سكين	ص265
Ecu	ريال	ص177
Piastre	قرش	ص181
Denier	فلس	ص265
Pistole	بستول	ص93
Maravédis	مرابطي	ص93

7-الفنون و الآلات الموسيقية

الفنون و الآلات	ترجمتها في الرواية	الصفحة
Fifre	مزمار	ص45
Trompette	بوق	ص45
Hautbois	/	ص45
Te Deum	موسيقى تسبيحة الشكر	ص45
Idylles	قصائد غزلية منظومة على شكل حوار مكتوب و مقفى جيدا	ص215

المبحث الثالث

دراســـــة نقديـــــة

1-الطبقات الاجتماعية

1-الملك← *Le roi*

يقدم قاموسLe littré الفرنسي التعريف التالي لمصطلح Le roi:

-Chef souverain de certains États

وتعرفه موسوعة Encartaعلى أنه :

-souverain élu ou héréditaire (d'un État monarchique)

ويعرفه **قاموس الأكاديمية الفرنسية،** في طبعته الرابعة، سنة 1762 ب:

-Monarque, Prince souverain du premier ordre. Grand Roi, Puissant roi , roi héréditaire. Roi électif. Roi légitime.

Les anciens Rois. Rois des Romains. C'est un titre que l'on donne dans l'Empire à celui qui est désigné par les Électeurs pour succéder à la dignité d'Empereur.

يعطي le Littré المرادفات التالية لمصطلح « roi » :

ROI , TYRAN,PRINCE,SOUVERAIN, EMPEREUR.

ولكن يميز بينهم :

Le roi se distinguai t du tyran dans l'antiquité en ce qu'il possédait légitimement l'autorité; depuis le moyen âge, il se distingue des ducs, comtes, princes, souverains aussi, en ce que le roi a été dans l'origine suzerain de ces ducs, comtes et princes ; enfin il se distingue de l'empereur, en ce que l'empereur est un titre dérivé de l'empire romain.

-On dit proverbialement, que Les Rois ont les mains longues, pour dire, que leur pouvoir s'étend bien loin.

-Dieu et appelé dans l' Écriture, Le Roi des Rois, le Roi du Ciel et de la Terre.

الأصل الغوي للكلمة : Etymologie

-bressan,ray ; prov.(بالاسبانية) roi, rey, re ; esp.(الاسبانية)rey ; ital. (بالايطالية) re; du lat. (من اللاتينية) règem ; بالمقارنة le gothique (أصل اللغات الجرمانية)reiks, le kymrique (لغة بلاد الغال) rix, lirl. (الإيرلاندية) rig, et le sanscrite (السانسكريتية) rajan.

يقابل هذا المصطلح في اللغة العربية **"ملك"** لأنه يتمتع بنفس الصلاحيات، مخول ليؤدي نفس المهام.

فـ**الملك** في اللغة العربية كما عرفه **ابن سيده** في **"لسان العرب":**

"الملك و الملك والملك احتواء الشيء و القدرة على الاستبداد به ،ملكه ،يملكه،ملكا وملكا و ملكا و تملكا؛

ويقال : ما لفلان مولى ملاكة دون الله أي لم يملكه إلا الله تعالى.

والملك هو الله تعالى وتقدس ، ملك الملوك له الملك و هو مالك يوم الدين، وهو مليك الخلق أي ربهم ومالكهم. وروى المنذر عن أبي العباس أنه اختار مالك يوم الدين ، و قال كل من يملك فهو مالك لأنه بتأويل الفعل مالك الدراهم، ومالك الثوب، وأما ملك الناس و رب الناس فإنه أراد أفضل من هؤلاء، وهو لقوله عز و جل **" مالك الملك".**

-إن لكلمة ″ملك″ وجود فعلي في اللغة العربية في مقابل اللفظة الفرنسية " le roi"،فقد حكم العرب ملوك و أقيمت ببلاد العرب مماليك و من ثم فقد استوعبت اللغة العربية هذه اللفظة و هذا اللقب استيعابا تاما.

2-الامبراطور L'empereur→

يعرفه قاموسLe Trésor الفرنسي على أنه :

-Souverain gouvernant un empire. Empereur romain, souverain du Saint Empire Romain germanique.

الأصل الغوي للكلمة : Etymologie et histoire

1-Ca 1050empereür désigne Honorius (Flavius Honorius), premier empereur d'occident (395-423) (Alexis,édi.Chr.Storey,306) ;

2-Ca 1100 empreur « chef souverain de certains Etats » (Gaimar, Hist. Des anglais, éd..Th.D.Hardy et ch.T.Martin,3568)

3-Ca 1150 « Chef suprême dans l'empire romain » (wace, St Nicola éd. E.Ronsjo,305)

يقدم مركز الموارد النصية والمعجمية (SNRTL) للفظة المرادفات التالية:

Roi	
César	
Monarque	
Prince	
Sultan	
Padischah	
Majesté	
Mikado	
Kaiser	
Tsar	

(قيصر)

(سلطان عثماني)
(إمبراطور تركيا)

(امبراطور اليابان)
(امبراطورألمانيا)
(امبراطور روسيا)

يتضح من المخطط أن **الإمبراطور** أعلى مرتبة من الملك، فهو يأتي في رأس قائمة الترتيب؛ ثم إن الامبراطوركلمة أو لفظة عامة وأصلية ظهرت عند الرومان واتخذت أسماء أخرى منها: **القيصر، والبادي شاه، و الميكادور، والتسار**. ولعل هذا التشعب و الاختلاف راجع إلى اختلاف الحكم من بلد لآخر، و امتداد السلطة والنفوذ ، وحتى المدة الزمنية.

-لا وجود لهذا اللقب في الثقافة العربية ، حيث يحتل الملك أعلى مرتبة في ترتيب أعلى مرتبة في ترتيب ألقاب الجلالة. وقد ترجم لفظ 'empereur' إلى إمبراطور نقلا عن اللاتينية Imperator←إمبراطور

3-ملك ← *monarque*

يعرفه قاموسLe trésor على أنه:

-Personne qui est à la tête de l'Etat dans une monarchie ; en partic.

وتعرفه موسوعة Le Maxidico ب:

« -Personne qui exerce le pouvoir suprême dans une monarchie »

الأصل الغوي: Etymologie

-1361 ; bas latin monarchus, du grec monarkhes « qui commande seul »

يحتمل لفظ Monarque و فقا ل CNRTLالمرادفات التالية:ِ

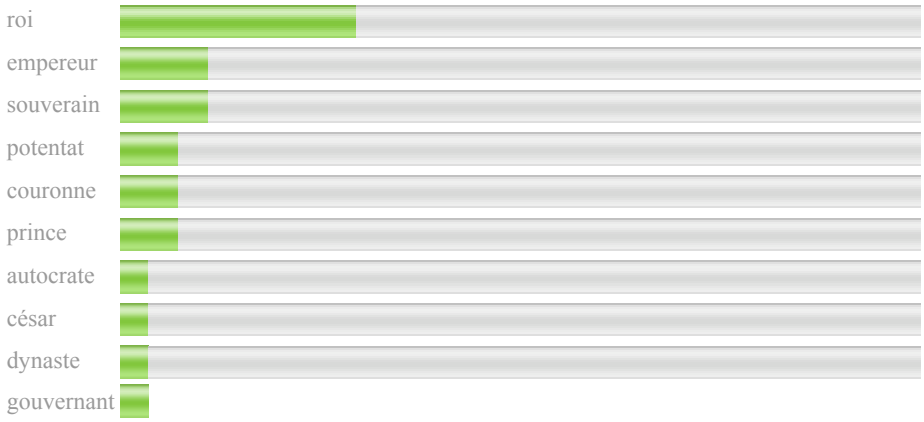

أقرب مرادفات 'Monarque' هو ' roi' لأن نوع حكمه ملكي وراثي مطلق،ولهذا فقد أبقي على لفظ "ملك" في العربية لأنه على رأس الحكام كلهم، وبيده السلطة المطلقة، ولأنه يستلم الحكم عن طريق الوراثة حتى في البلاد العربية.

4-بارون → baron

-Titre commun à la haute noblesse pour désigner un grand seigneur du Royaume relevant directement du roi.

-Moyen Age et Histoire Moderne : gentilhomme (ou celui) qui possède une terre Donnant droit à ce titre (baronnie)

-Cour.Noble dont le titre, conféré par le souverain ou reçu en héritage, se situe entre celui de vicomte et de chevalier.

فيكون الترتيب كالآتي: Vicomte
↓
Baron
↓
Chevalier

-لا وجود لمثل هذه التقسيمات عند العرب،ولهذا لا نجد مثل هذه الألقاب، و لا مقابلات لها،و لترجمتها إلى العربية، نلجأ إلى الاقتراض فنقول بارون وبارونة (زوجة البارون).

5-ميلورد → *Milord* (وكذلك لورد→Lord)

-Emploi appellatif. Titre donné aux Lords anglais

Lord :
a-Titre nobiliaire donné aux membres de la haute aristocratie en Grande Bretagne (ENCARTA)

b-Titre attaché à l'exercice de certaines fonctions éminentes en Grande Bretagne

(le Lord chancelier)

ويعرفه قاموس Le Littré:
-« Titre d'honneur usité en Angleterre et qui signifie seigneur. Le féminin est Lady . Lord maire, gouverneur civil de Londres, jouissant de grandes prérogatives. La chambre des Lords, la chambre aristocratique du parlement.

الأصل الغوي: Etymologie

-Anglo-saxon, hlâford, lâford→ seigneur, maître (hlaefdige ; maîtresse, vieux anglais, laverd, lauerd, de hlâf→*pain :* proprement le chef, le maître du pain

-و قد اقترضته العربية "لورد" لأن العرب لم يعرفوا استخداما لهذا النوع من ألقاب الشرف، ولا غير الانجليز من الأوروبيين ولهذا تقترضه باقي اللغات، فيقال" لورد انجليزي"، و"ميلورد انجليزي" فهو إذن حكر على الانجليز(على هذه الطبقة البريطانية الراقية)، ويقترضه غيرهم.

6-ماركيز → *Marquis*

A-MOY.AGE. Gouverneur militaire de l'époque franque préposé à la garde des provinces ou des villes frontières appelées marches ou marquisats.

B-Titre seigneurial accompagnant la possession d'un marquisat ; personne portant ce Titre.

C-HIST.MOD.et CONTEMP. Titre de noblesse situé dans la hiérarchie après le titre de Duc et avant celui de comte ; personne qui porte ce titre.

ويكون بذلك الترتيب :

Duc
↓
Maquis
↓
Comte

نخلص إذن إلى أن المجتمع الراقي في الحضارة الأوربية عموما كان يتكون من حاملي ألقاب الشرف التالين:

ملك
Roi
أمير
Prince
دوق
duc
ماركيز
marquis
كونت
vicomte
بارون
Baron (baronnet et Angleterre)
فارس
chevalier

بإستثنا « Roi »،« prince » و « chevalier » فإن باقي ألقاب الشرف تقترض عند ترجمتها، ف « marquis » تقتبس كما هي في العربية "ماركيز"، لأن المجتمع العربي لم يعرف هذا التقسيم المفصل وهذه الطبقية الحادة ، حيث كان المجتمع الملكي "ملك"، يليه"أمير" أو "أمراء"و حاشية الملك من العائلة و الفرسان،ثم الرعية الذين هم عامة **الشعب و أغلبية المجتمع.**

7-الدوج → *Doge*

1-HIST. Premier magistrat, élu comme chef nominal, des anciennes républiques de Gênes et de Venise(le Littré)

2-Chef suprême, dans les anciennes républiques de Venise et de Genes1552 ; Vénitien Doge, du latin dux, « chef » (le Maxidico)

-لقد كان"الدوج"قديما (1552)يمثل القاضي الأول في كل من جمهورية جنوا و البندقية وإلى جانب القضاء، فقد كان حاكما منتخبا.

-إن ترجمة « doge » ب "قاضي" هو إنقاص من شحنتها الدلالية، كما قال لادميـــــرال **une sur traduction'**،كما أن ترجمتها إلى "حاكم" إنقاص كذلك من شحنتها الدلالية

Doge= Premier magistrat +chef

-لذا فإن الإبقاء على **"doge"** بالعربية 'دوج' هو أفضل حل، ولكن إلى جانب الاقتراض كان من المستحسن تزود القارئ بشرح أو تعريف خارج النص أو في نهاية المؤلف، خاصة أنه بعيد عنه في المكان والزمان.

8-قاضي → *Cadi*

-Magistrat musulman remplissant des fonctions civile, judiciaires et religieuses, dont Celle de juger les différends entre particuliers. (le Littré)

-القاضي معناه في العربية القاطع للأمور المحكم لها. و استقضي فلان أي جعل قاضيا يحكم بين الناس . لأن أصل القضاء القطع و الفصل. يقال: "قضى، يقضي،قضاء فهو قاض" . (لسان العرب)

-يقابل "القاضي" في العربية لفظ 'juge'أو 'Magistrat' ولكن نجد استعمالا للفظ'cadi' لأنه يخص القضاء أو القاضي في بلاد المسلمين،كما هو الحال بالنسبة" للدوج" في البندقية وجنوا ، لذا فهو نوع من المحافظة على الطابع و اللون المحلي للثقافة الأصل في الترجمة كما في التأليف، وهو ما دعا إليه أغلب

المترجمين من **Lederer** و **Brisset** و غيرهم . وهو أبلغ و أوفى من استخدام اللفظ العام مع كل المجتمعات.

9-وزير → *Visir*

A-[Dans les pays musulmans]

1-conseiller principal du calif

2-Haut dignitaire, et plus particulièrement, ministre, premier ministre de l'empire ottoman

3-Personnage le plus important de l'Egypte ancienne après le pharaon, ayant des fonctions très étendues. (Le Trésor)

ورد في لسان العرب أن:

"الوزير حبأ الملك الذي يحمل عليه ثقله و يعينه برأيه ، وقد استوزره، و حالته الِوزارة والوَزارة. ووازره على الأمر: أعانه و قواه والأصل آزره. وفي التنزيل العزيز:"و اجعل لي وزيرا من أهلي"؛ وقيل: قيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما اسند إليه من تدبير المملكة أي يحمل عنه ذلك".

إن كلمة "وزير" خاصة بمساعد، و مؤازر، و مستشار الملك أو الخليفة أو الحاكم أو الفرعون، أي أنها خاصة بالثقافة الشرقية و الإسلامية على وجه الخصوص؛ و لأنها تختلف قليلا أو كثيرا عن اللفظ **'ministre'** في الحضارة الغربية فقد وجد لفظ'visir'مقتبسا من اللفظ العربي "وزير" محافظا على دلالته وطابع ثقافته المحلي.

10-خادم → *Domestique*

Littré

-Homme(meme de noble condition) attaché au service d'un grand personnage

-Ensemble des domestiques qui appartiennent à une maison.

-Personnage employé pour le service, l'entretien d'une maison.

يتبين من تعريف لفظ'domestique'أنه نوع من الخدم يمكن أن يكون رفيع النسب يعمل لصالح شخص مهم في المجتمع و يهتم بأمور منزله باعتباره أقل شأنا منه. فهو ليس أي خادم كان، بل له مميزات خاصة تميزه عن غيره من الخدم.

في حين يمثل الخادم في اللغة العربية و عند العرب، لفظا عاما إذا أطلق على شخص أريد به: 'واحد الخدم، غلاما كان أو جارية؛ قال الشاعر يمدح قوما:

مخدمون ثقال في مجالسهم وفي الرجال إذا رافقتهم خدم

وفي حديث فاطمة وعلي علهما السلام" اسألي أباك خاما تقيك حر ما أنت فيه" ويقع الخادم على الأمة و العبد' (لسان العرب)

فالخادم في العربية من امتهن خدمة سيده، رجلا كان أو امرأة ، ومهما كان نوع الخدمة التي يؤديها .

-في المقابل ، تنوع الخدم في الثقافة الفرنسية ، وتنوعت أسماؤهم و ألقابهم بتنوع المهام التي يؤدها كل صنف منهم، ودرجة نسبه، والشخص الذي يقوم بخدمته لدرجة أن لفظ "خادم" صار لفظا عاما (hyperonyme) و كل نوع من الخدم(hyponyme)وهو ما يطرح إشكالية أثناء ترجمتها إلى الثقافة واللغة العربيتين.

***page* → 11-خادم**

-Jeune garçon, jeune homme généralement d'origine noble, attaché au service d'un roi, d'un seigneur ou d'une grande dame(dont il portait la livrée), pour servir d'escorte effectuer le service d'honneur et apprendre certaines fonctions civiles militaires.

-Jeune homme servant d'aide ou de commissionnaire dans différents métiers.

(le Littré)

-إن ترجمة لفظ**'page'** إلى 'خادم' إنما هو انتقاص من الشحنة الدلالية التي يحملها **'Sous traduction'**، لأننا بذلك نضيع أصله و نسبه النبيل، وأنه عميل لدى ملك أو سيد أو سيد ذات شأن رفيع ، وأنه إلى جان ذلك يقوم بواجب الحراسة ، والوساطة ،والفروسية، وبعض الوظائف العسكرية.

يقبل لفظ**'page'** كمرادفات:

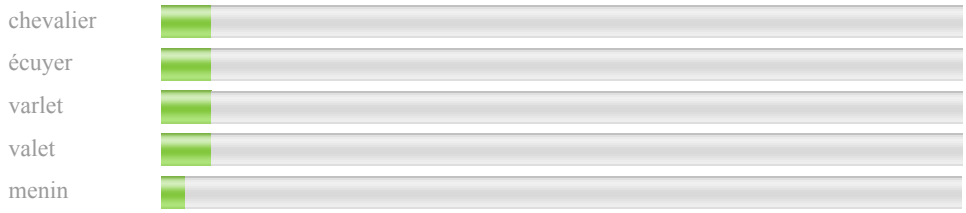

A- Domestique armé, en livrée, chargé de porter le manteau et les armes de son maitre, de lui tenir l'étrier ; par extension : laquais de haute société faisant fonction de garde du corps.

B- [En Italie] Laquais en livrée au service d'un carinal, d'un pape ou d'un grand seigneur.

و اللفظة مشتقة أساسا من لفظ **'Staffa'**الإيطالي و معناه **ركاب الفارس.** وبذلك تتحدد مهام

'l'estafier' في حمل معطف و أسلحة سيده، وكذا ركابه، وعادة ما يكون مسلحا لحراسة سيده و الدفاع عنه.

13-خادم → *valet*

1-« Jeune gentilhomme attaché à la personne d'un chevalier ou d'un grand seigneur, pour remplir auprès de lui les fonctions de page ou d'écuyer ». (Bouillet 1859)

2-HIST.Officier faisant partie de la maison du roi ou d'une maison princière.

وحتى هذا يتفرق حسب الدور الذي يؤديه فيقال:

-Valet de chambre ;

-Valet de pied. Serviteur en livrée qui escorte son maître, l'aide à monter ou à descendre de voiture

-Valet d'armes, armé (XVe. S) . Garde du corps. (Dict. XIXe et XXe. S)

-Valet à louer. Domestique qui n'a plus de maître. (1798-1878)

(ENCYCLOPÉDIE DES SCIENCES, DES ARTS ET DES MÉTIERS)

-قد يكون **'le valet'** الذي هو شاب نبيل أساسا ، فارسا لدى سيد أعظم شأنا، أو خادما لدى فارس آخر، لأداء واجب الحراسة أو الخدمة داخل البيت وخارجه.

14-خادم → *Laquais*

-Valet en livrée, chargé d'escorter son maître ou sa maîtresse.

-Laquaiz « sorte de soldat » . (le Littré)

-هذا النوع من الجنود الذين عرفوا في كتالونيا **(La Catalogne في 1470)**، هم نوع من الجنود يقومون بحراسة السيدة أو السيد الذي يعملون لحسابه إلى جانب خدمته.

15-خادم → *Servant*

1-Jeune noble se trouvant au service d'une dame, par extension, tout homme qui se met avec zèle au service d'une femme. Cavalier, chevalier servant.

2- RELIG. Frère servant. Religieux convers employé aux travaux domestiques.

3-Homme chargé d'exécuter des travaux domestiques ou assurant le service sur table.

(Trésor)

إن **'Le servant'** خادم متحمس نبيل يهوى خدمة إحدى السيدات، وقد يكون راهبا يساعد في أداء الأعمال التي يؤديها خدام البيوت ولكن في الكنيسة. كما بمكن أن يكون رجلا من الخدم مهمته إعداد الطاولة وتقديم الطعام.

16-خادم → *Cuistre*

-Valet d'église ; bedeau.

-Valet de collège. Cuistre de collège. (Trésor)

يقوم**'le cuistre'** الذي ترعرع في الكنيسة، بالخدمة ومهمته ضمان حسن سير الأعمال وأداء الوظائف داخل الكنيسة و تطلق عليه تسمية "قواس الكنيسة".

-وهناك من ينشأ منذ صغره ، في خدمة المدرسة، وهذا الأخير تلميذ يرتدي المعطف و القبعة ،ومهمته إعداد الطعام للتلاميذ.

" وأصل كلمة**cuistre"** من اللاتينية **coquistro** (مشتقة من **coquere بمعنى cuire** يطبخ) **و منها coistron "Valet de cuisine, marmiton"** ليكون بذلك **Le cuistre** طباخا في الأساس.

17-وصيفة → Suivante

-Personne qui en accompagne une autre pour l'assister , la servir.

Dame de compagnie ou femme de chambre. (Le Littré)

يقدم لنا**(Le CNRTL)** المرادفات التالية للفظة « **suivante** »

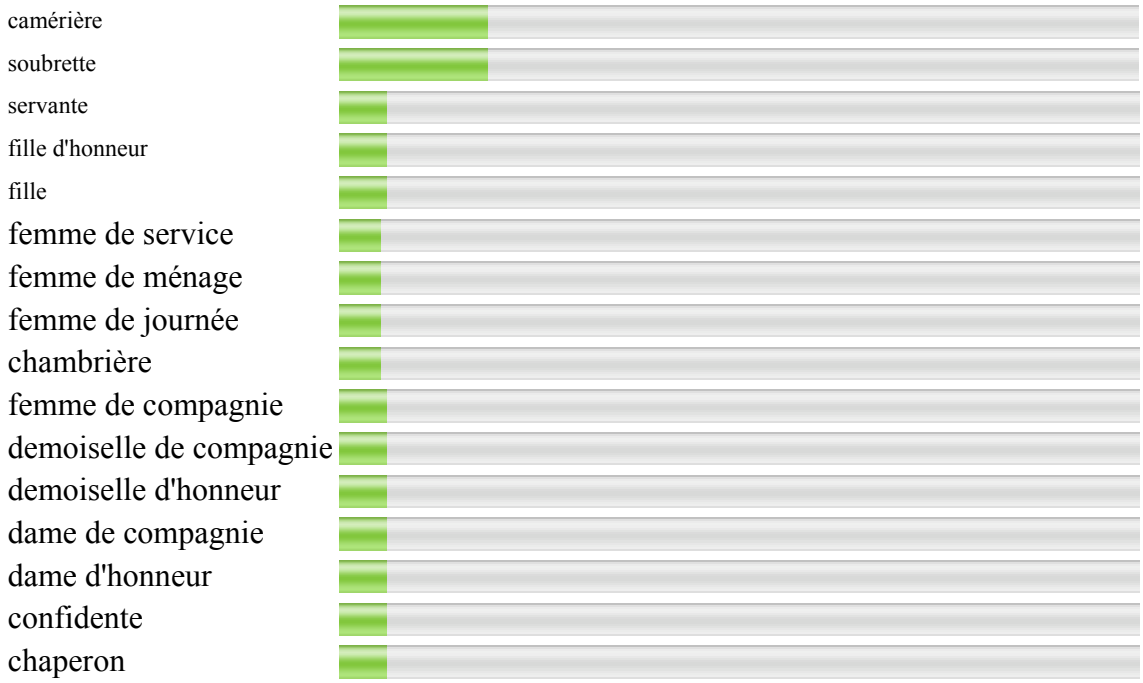

هاته التسميات و المراتب الموجودة في الفرنسية، لا وجود لها في العربية التي اكتفت بلفظة "وصيفة" أيا كان سنها "شابة،فتاة ، أو امرأة" ،مرافقة للفتاة أو لأمها، كاتمة أسرار أو منظفة غرفة النوم أو مقدمة

الطعام. في حين اهتمت الثقافة الفرنسية بهذه التفاصيل وميزت بين المرافقة كاتمة الأسرار وبين المنظفة و غيرها من الخادمات .

2-العـــــــــــــادات

Payer son écot-1

ورد في قاموس **Le Trésor** ما يلي:

"Quote-part que convient d'acquitter chaque personne dans une dépense commune , en particulier pour payer un repas (surtout dans l'expression : payer son écot / payer l'écot) »

أصلها اللغوي :

من الفرنسية القديمة (القرن**XII**) مشتقة من لفظة **SKOT بمعنى"Impôt » ضريبة.**

في عرف و ثقافة الغربيين، يتوجب على كل فرد من الجماعة التي خرجت لتناول وجبة جماعية في مطعم، أن يدفع حصة نقدية يساهم بها في دفع ثمن الطعام. حتى وإن كان بين المدعوين نساء، فإنهن يدفعن حصتهن من المبلغ.

يختلف الأمر كثيرا في الثقافة العربية، فإن خرجت جماعة أصدقاء رجال لتناول الطعام في مطعم ، يتحمل واحد فقط من بينهم فقط تكلفة الوجبة، ويدفع عن الآخرين. وإن تكررت الوجبة الجماعية يتحمل نفقة الطعام آخر، وهكذا في كل مرة يدفع واحد عن الآخرين، ولكن لا يؤخذ من كل أحد حصة من المبلغ الكلي.

ولا يقبل العربي أن تدفع امرأة ثمن طعامه على عكس الغربي الذي لا يجد حرجا في ذلك . وقد ورد في محكم التنزيل قوله عز وجل:" **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم"** [الآية34 من سورة النساء]

من ثم فإن'payer mon écot' تترجم " أدفع حصتي من ثمن الطعام" وليس"أدفع ثمن الطعام " التي توحي بأن كانديد تناول الطعام لوحده؛ ثم إنه كان مدعوا إلى الطعام، والمدعو في الحقيقة لا يدفع شيئا، ولعل ترجمتها بهذه الطريقة تكييف للثقافة العربية لأن ترجمتها بالمعنى الأصلي "أدفع حصتي من ثمن الطعام " خاصة و أنه مدعو تصدم القارئ العربي. وإن ذهب أغلب المنظرين إلى رفض التكييف في هذا المقام.

2- إعادة التعميد → Anabaptisme(قائل بإعادة التعميد→anabaptiste)

التعميد'**le baptême'**هو عاد ة دينية من قلب الديانة المسيحية، تتمثل في حفل تنصير المولود الجديد -أما**anabaptisme** فهو مذهب طائفة خالفت العادة الدينية و هؤلاء يطلق عليهم'Anabaptistes'

وهم طائفة بروتستانتية ترفض تعميد الأطفال قبل سن الرشد، لأن هؤلاء الأطفال يجب أن يبلغوا سنا يمكنهم فيها إدراك إيمانهم وتعليل ذلك .

وقد ظهرت هذه الطائفة من المخالفين البروتستانتيين في القرنXVI (سنة1526)في بعض المقاطعات الألمانية، و تحديدا في ويستفالي (وهي المدينة التي اختارها فولتير لتكون مسقط رأس كانديد). كان هؤلاء المخالفون يعلمون الناس أن التعميد الذي يتلقاه الأطفال خاطئ وغير مجد، وأنه جرم يعادل أداء اليمين أو رفع السلاح، وكانوا يكرهون السلطة والنبلاء، وأرادوا أن تكون كل الخيرات والأموال والمنافع مشتركة،وأن يكون الناس أحرارا ومستقلين، فراحوا يعدون أتباعهم بالسعادة الأبدية و يحرضونهم للقضاء على معارضيهم الذين يطلقون عليهم تسمية "الكفار".

- إن ترجمة هذا المذهب المخالف للعادة الدينية المسيحية ب "قائل بإعادة التعميد" لا يشرح شيئا للمتلقي العربي (المسلم على وجه الخصوص)ولا تزيل شيئا من الغموض الذي تطرحه العبارة ذاتها. فهي ترجمة حرفية للأصل اللغوي للكلمة المشتقة من اليونانية'anabaptizein' بمعنى:'Baptiser à nouveau' ←' إعادة التعميد'.

لذا فمن الواجب توضيحها خارج النص،في معجم خاص أو في ملاحظة للتعريف بالطائفة كما سبق.

Autodafé-3

-« Cérémonie expiatoire au cours de laquelle était lues et exécutées les sentences prononcées par l'Inquisition (principalement en Espagne et dans l'empire espagnol à la fin du XVe. S au début du XIXe. S) qui, le plus souvent, condamnait à périr par le feu les hérétiques, les juifs et plus généralement toute personne déclarée coupable d'avoir enfreint les lois religieuses. » (Le trésor de la langue Française)

يعود أصل الكلمة **Auto-da-fé** إلى اللفظة الإسبانية « **auto de fe** » و تتقاطع مع **'auto da fe' الاسبانية** هي الأخرى و كلاهما يعني حرفيا **'acte de foi'** "عقد إثبات الإيمان.

-لقد تمت ترجمة لفظة 'Autodafé' ثلاث ترجما ت مختلفة في الرواية؛ ترجمت تارة "احتفال بالحرق " وتارة أخرى "حفل إعدام"،و ثالثة ب"إعدام"

-في الترجمتين الأخيرتين، ذكر "إعدام" في حين أنه لا يصدر حكم 'بالإعدام ' وإنما "بالحرق" كما ورد في الترجمة الأولى .

-رغم أن السياق وتطور أحداث الرواية يبينان أنه يتم خلال هذا الاحتفال حرق لأناس أحياء حتى الموت، إلا أن الحاجة إلى ملاحظة تفسيرية تبدو ماسة، تذكر فيها كل التفاصيل والظروف التي كانت تمارس فيها مثل هذه العادات.

« **Autodafé** »: هو احتفال تكفيري، هدفه الاستغفار و التكفير عن ذنوب المخطئين من يهود و مسيحيين خارجين عن القوانين الدينية المسيحية، كان يتم خلال هذا الاحتفال الذي ظهر في اسبانيا وبعدها البرتغال في القرن السادس عشر، قراءة الأحكام التي أصدرتها محكمة التفتيش(محكمة دينية تلاحق المتهمين في دينهم) وتنفيذها في المتهمين الذين يتم حرقهم حتى الموت وهم يرتدون زيا خاصا بهذا الاحتفال.

4- يوم السبت → Le jour de Sabbat

-قبل كل شيء، يجدر بنا أن نفرق بين ما يسميه اليهود « **le Sabbat juif** » **وبين ما يسميه المسيحيون** « **le Sabbat chrétien** »، قبل أن نطرق الإشكالية التي يطرحها وجود نوعين من" السبت".

Le Sabbat juif-1.4 (فيما سيأتي نقل حرفي للأمور كما هي عند أهلها والممارسين لها، وإن كانت فيها تجاوزات دينية و أخطاء، فقد نقلتها كما هي من موردها دون تصحيح و لا تعديل بهدف عرض الرؤى المختلفة للأقوام)

تذكر موسوعة Universalis ما يلي:

"Le sabbat" نقل عن اللفظ العبري" shabbat"، اسم اليوم السابع من الأسبوع،السبت:وفقا للأصل اللغوي للفعل 'Shavat'بمعنى" توقف"، ويقصد به يوم التوقف عن العمل، يوم الراحة. و هو أساسي في الحياة الدينية لليهود.

يبدأ السبت ثماني عشرة دقيقة (وعند البعض ثلاث ساعات) قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ،لينتهي ساعة بعد غروبها في اليوم التالي. وقد ورد في سفر التكوين(II1-3)، ذكره:

Genèse 2 :1-3 : Ainsi furent terminés les cieux et la terre, avec tout ce qu'ils renferment. Dieu mit fin le septième jour à l'œuvre faite par lui ; et il se reposa le septième jour de toute l'œuvre qu'il avait faite. Dieu bénit le septième jour et le proclama saint parce qu'en ce jour il se reposa** de l'œuvre entière qu'il avait produite et organisée.**

2 :2-3 : Dieu acheva au septième jour Son œuvre, qu'il avait faite, et Il *S'abstint* au septième jour de toute son œuvre, qu'il avait faite.
Et Dieu bénit le septième jour, et Il le sanctifia, car en ce jour, Il S'abstint de toute Son œuvre qu'il avait créée en la faisant.

وقد بدأ تعظيم هذا اليوم في إسرائيل منذ خروجهم من مصر، قاطعين الصحراء. وفي سفر الخروج(xvi) ذكر في التوراة أن ***المن*** كان يعطى ستة أيام، مع نصيب مضاعف في اليوم السادس، لأنه لا يتم جنيه في

(**) لا يرتاح الله عز وجل لأنه لا يلحقه التعب ولا الارهاق.

اليوم السابع الذي هو السبت.

Exode **20:8-10**
Souviens-toi du jour du repos, pour le sanctifier.
Tu travailleras six jours, et tu feras tout ton ouvrage.
Mais le septième jour est le jour du repos de l'Éternel, ton Dieu: tu ne feras aucun ouvrage, ni toi, ni ton fils, ni ta fille, ni ton serviteur, ni ta servante, ni ton bétail, ni l'étranger qui est dans tes portes.**
Car en six jours l'Éternel a fait les cieux, la terre et la mer, et tout ce qui y est contenu, et Il s'est reposé le septième jour: c'est pourquoi l'Éternel a béni le jour du repos et l'a sanctifié.**

حرم على اليهود في السبت تسعة وثلاثون عملا، وفقا لما ورد في التلمود**(la Michna chabbat 7 :2)** هي: الحرث، والزرع، والحصاد، وربط الحزم المجموعة، جمع الحبوب، نسفها مع الرياح،نزع الحبوب من السنابل، الغربلة، الطحن، العجن، الطبخ في الفرن،جز الصوف،غسل الصوف، ندفها، صباغتها ، الغزل ، التسدية، صنع حلقات نسيج لربطها، نسج خيطين معا، فك خيطين من نسيج، عقد عقدة، حل عقدة، الخياطة، الفتق، الصيد، ذبح وقتل البهائم، السلخ أو التقطيع، دباغة الجلود، الكشط والتقشير، رسم خطوط و التسطير، حلق الشعر، كتابة أكثر من حرفين أو رمزين، مسح أكثر من حرفين أو رمزين مكتوبين، البناء، الهدم، إطفاء النار، إنهاء عمل مبدوء، النقل الخاص، أو ما يزيد عن مسافة أربعة أذرع (حوالي200سم) في النقل العام، مع عدم حمل حقيبة. **(Wikipédia)**

عند بدء السبت (حوالي نصف ساعة قبل غروب شمس يوم الجمعة) تتجلى عندهم كل الممنوعات، فيضطر النسوة إلى إيقاد مصباح بستة شموع أو فتائل، (أو أربعة على الأقل)، تدوم جزءا كبيرا من الليل؛ وبعدها يحضرن طاولة مغطاة بغطاء أبيض طويل، كذكرى للمن **(la manne)**الذي كان ينزل عليهم هكذا.

بعدها يذهب بنو إسرائيل إلى الكنيست **(la synagogue)**أين يصلون وينشدون. وعند عودتهم يحتفلون بالخبز و الخمر الذي يوزعونه على الحاضرين. وفي صباح السبت،يجتمعون في الكنيست، ويرتلون الزابوروجزءا من أسفار موسى الخمس**(Pentateuque)**والرسل**(prophètes)** يتبع بخطبة أو عظة.

مع مجيء الليل، وبعد أداء صلاة المساء في الكنيست يعود كل واحد إلى بيته،ويتم إشعال مشعل أو شمعدان بفتيلتين. يأخذ رب البيت الخمر وبعض البهارات الطيبة الرائحة، يشم البهارات، ويرمي الخمر على الأرض (طريقتهم في التعبير عن الحبور)، وينتهي احتفال السبت.

(Encyclopédie ou dictionnaire raisonné des sciences, des métiers et des arts)

Le Sabbat chrétien2-4

'le sabbat'هو الراحة في اليوم السابع، و هو ذكرى خلق الكون و تمجيد خالقه. استبدل المسيحيون **'le sabbat'**بيوم 'الأحد' ، كذكرى لإعادة بعث المسيح عليه السلام (يؤمن المسيحيون بأن المسيح بعث ثلاثة أيام بعد صلبه** أي أنه عاد إلى الحياة بعد صلبه**).

ويتوافق"الأحد"عند المسيحيين مع "الأحد" عند الوثنيين، فهو(يوم أو عيد الشمس)(**Sunday**بالانجليزية) وهو بالنسبة إليهم تذكير للإنسان بحاجته إلى غذاء روحي ، وبواجبه في طاعة الله.

ووفقا لما ورد عندهم في كتاب(**Néhémie**) **(18-15: 13)**و **Jérémie (27-21: 17)**فإن الأمة التي تهمل هذه العادة، ولا تحترم**Le sabbat** فإن مظاهر حياتهم كلها-الدينية و الدنيوية- ستتقهر.

ومن هنا جاء تعظيمهم و احتفالهم بالأحد**(le jour de sabbat)** .

4- 3السبت في العربية والإسلام (لسان العرب)

من سبت، يسبت،سبتا استراح وسكن، والسبات: نوم خفي،كالغشية. وأصله من السبت : الراحة والسكون، أو من القطع وترك الأعمال.

قال عز و جل:" **وجعلنا نومكم سباتا**" أي ِقطعا؛ و السبت القطع ،فكأنه إذا نام فقد انقطع عن الناس.وقال الزجاج: السبات أن ينقطع عن الحركة ، والروح في بدنه، أي جعلنا نومكم راحة لكم.

-و**السبت** من أيام الأسبوع ،و إنما سمي السابع من أيام الأسبوع سبتا ، لأن الله تعالى ابتدأ الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض؛ ويقال: أمر فيه بنو إسرائيل بقطع الأعمال و تركها؛ و في المحكم: وإنما سمي سبتا، لأن ابتداء الخلق كان من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، قالوا:فأصبحت يوم السبت مسبتة، أي قد تمت، و انقطع العمل فيها ؛و قيل سمي بذلك لأن اليهود كانوا ينقطعون فيه عن العمل والتصرف. و **الاسبات** الدخول في السبت، والسبت قيام اليهود بأمر سنتها. قال تعالى: **" واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون"** (الأعراف/17)

-وقد أخطا من قال أن الله عز وجل خلق السماوات و الأرض في ستة أيام، ثم استراح لأن الله تعالى و تقدس، لا يوصف بالاستراحة ، فهو لا يتعب، والراحة لا تكون إلا بعد تعب ونصب، وكلاهما زائل عن الله تعالى. واتفق أهل العلم على أن الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت،ولم يخلق يوم الجمعة سماء و لا أرضا. قال الأزهري: والدليل على صحة ما قال، ما روي عن عبد الله بن عمر، قال: خلق الله التربة يوم

(**) " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم" (النساء/ الآية157)

السبت، وخلق الحجارة يوم الأحد، و خلق السحاب يوم الاثنين، وخلق الكروم يوم الثلاثاء،وخلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة بين العصر وغروب الشمس. وفي الحديث: فما رأينا الشمس سبتا؛ قيل: أراد أسبوعا من السبت إلى السبت، فأطلق عليه اسم اليوم. وحكى ثعلب عن أبي الأعرابي: لا تك سبتيا أي ممن يصوم السبت وحده.

-لقد عظم اليهود يوم السبت، والمسيحيون(أغلبهم) يوم الأحد، والمسلمون يوم الجمعة. لكن الجدل الذي يطرحه'le jour de sabbat'في الترجمة هو هل يترجم بيوم السبت أم بيوم الأحد؟

-معلوم أنه في أصله اللغوي و الديني هو يوم السبت كما هو عند بني إسرائيل حين أمرهم الله عز وجل بقطع الأعمال و تركها فيه.

-لكن ها هو حديث بين اليهودي دون ايساكار والمحقق المسيحي **l'Inquisiteur** في رواية كانديد يتجادلان حول الأيام التي يحتفظ خلالها كل واحد منهم بالأميرة كويغوند. وقد قرر اليهودي الاحتفاظ بها يوم الاثنين، والأربعاء، و**le jour de sabbat**أي السبت في هذه الحالة بما أنه يهودي، ويحصل عليها المحقق في الأيام الأخرى. لكن ماذا لو أن المحقق المسيحي هو من اقترح الاثنين،و الأربعاء، و **le jour de sabbat'**هل سنفترض أنه يقصد السبت على عادة اليهود، أم الأحد على عادة المسيحيين، و لهذا وجب تحديد وتوضيح عند من.

وقد ذكر في الرواية على لسان الأميرة:**(ذلك لم يجرمن دون نزاعات؛لأنه غالبا ما كان غامضا حول ما إذا كان المساء الواقع بين السبت و الأحد يخضع للعهد القديم أو الجديد)**

La castration -5

عادة كانت تمارس في أوربا الغربية على مراهقين وأطفال للحصول على **'les castrats'**، وهم رجال قضي بموجب هذه العادة على ذكورتهم، فصاروا يمتلكون صوتا حادا و مطلوبا جدا قديما، في العروض الغنائية والترتيل الكنائسي. ذلك لأن الكاثوليكية كانت تمنع النسوة قديما من الإنشاد أو الترتيل في الكنيسة. وقد حرمت بعد ذلك هذه العادة التي تهدف إلى الحصول على هذا النوع من الصوت ، من قبل البابا كليمون الرابع عشر،في نهاية القرن الثامن عشر، واختفى بعد ذلك هذا النوع من الرجال في القرن الموالي.

-وقد كانت هذه العادة تمارس في بعض الحضارات على المراهقين،بل وحتى على الراشدين للحصول على رجال يتولون وظائف عليا في السلطة و الحكم، كما حصل في الإمبراطوريتين الفارسية و الصينية وكذلك الفييتنام ،فلا يكون لهم هم غير حكم البلاد.

وشاعت في آسيا، وتحديدا عند عبيد الأتراك، الذين توكل إليهم حراسة النساء داخل الخدر.

-وفي إيطاليا كذلك ، على المغنين ممن يراد الحفاظ على صوتهم

-إن ترجمة مثل هذه الممارسات الهمجية، أمر ليس بالهين فهي تصدم متلقيها وتحتاج في ترجمتها إلى توضيح معمق(**explicitation**) كما ورد في الرواية:

" لقد ولدت في نابولي حيث يخصون ألفين أو ثلاثة آلاف ولد كل سنة؛ يموت بعضهم، ويكتسب البعض الآخر صوتا أجمل من صوت النسوة، ويحكم آخرون بلدانا. وقد أجروا لي هذه العملية التي لاقت نجاحا باهرا، وأصبحت عازف كنيسة السيدة أميرة باليسترينا".

3-الملـــــــــــــــــبس

1- قبعة← Une mitre

يعرفها قاموسLe trésor ب:

1-RELIG. CHRETIENNE ; coiffure haute, de forme pyramidale, fendue par le milieu et garnie de deux fanons tombant sur la nuque, que portent le pape, les évêques et certains abbés à l'occasion de certaines cérémonies pontificales. Elle est de drap d'or ou d'argent.

2-HISTOIRE ; Coiffure en forme de mitre qu'on mettait sur la tête des hérétiques condamnés au bûcher.

إن **'La mitre'**هي نوع **من الأغطية** التي توضع على الرأس للزينة، على شكل هرمي، تكون مفلوقة في الوسط إلى رأسين ومزينة بهد بين من الخلف تنزل على الكتف، يضعها البابا، والأسقف، والقس في بعض المناسبات الخاصة بالبابا، كما كانت قديما توضع على رأس المخالفين للديانة المسيحية الذين يحكم عليهم بالحرق**(Autodafé)** ، كدليل على توبتهم و تكفيرهم عن ذنوبهم.

- لذا ف "mitre' ليست قبعة، بل قبعة من نوع خاص. فليست كل قبعة هي'mitre'. وقد ترجمت بلفظ عام **"hyperonyme "** أفقدها كل مميزاتها المذكورة سابقا، وأصنافها، فهي جزء من زي خاص سيلي شرحه.

2-سنبنيت← San-Benito

ما هو الـ " San benito"؟

HIST – Casaque (vêtement masculin de dessus, à larges manches) *jaune* sans manches et *mitre* que portait en Espagne ceux que l'inquisition avait condamnés au bûcher.

II y avait trois sortes de san- benito :

a / celui du condamné qui s'était rétracté avant son jugement , dont la mitre était décorée d'une grande croix noire.

b / du condamné qui s'était rétracté après son jugement ,mitre semée de flammes.

c / du condamné impénitent mitre entourée de flammes et ornée de diable.

(Le trésor)

أصلها اللغوي :

San-bénito كلمة مركبة , مكونة من **San (saint)** قديس) و من **Benito** في الإسبانية التي توافق **(de benoît)** و هو اسم قديم لقديس في القرن الخامس عشر**Saint de benoît** (القديس دي بونوا)

- لقد اقتبس اللفظ مباشرة من الفرنسية إلى العربية " سنبنيت" لأنه لايوجد في لباس العرب هذا الزي، و لا العادة التي تقتضي ارتداءه. و لترجمته فقد اضطرت المترجمة إلى إضافة التوضيحات التالية :

" ألبس كلاهما سنبنيتا، و زين رأسا هما بقبعتين من ورق : كان على قبعة و سنبنيت كانديد رسم شعلات معكوسة و شياطين لا أذناب لها و لا مخالب ، لكن شياطين بانغلوس كان لها أذناب و مخالب و كانت شعلاتها مستقيمة "

- و هذه التوضيحات في الحقيقة، قد أضافها كاتب النص الأصلي " فولتير" لأن العادة هي أصلا إسبانية و قد تبدو غريبة للملتقي الفرنسي ، رغم أن، الثقافة متقاربة و الحضارة واحدة (الحضارة الأوروبية) فماذا نقول عن المتلقي العربي؟

3 – البروكار← Brocart :

ورد في قاموس le Trésor أنBrocart هو :

قماش حريري مقصب بخيوط الذهب و الفضة ، يصنع في ثلاثة مراكز تاريخية في فرنسا :

- Saint-Maur،Tours، Lyon. أما أقدم القطع فقد كانت تأتي من الصين في بداية العهد المسيحي، ثم توسعت صناعة الحرير من الصين إلى بلاد الفرس و البيزنطيين.

- و قد كان يرتديه الحكام و أكثر الرجال ثراء فضلا عن النساء.
- اقتبس اسم هذا النوع من الحرير مباشرة من الفرنسية ، لأنه من نوع الحرير المقصب بالذهب،و ليس أي حرير.
- تروي الرواية أن " شبانا و فتيات يرتدون قماشا من الذهب " و أن " أطفال القرية يرتدون البروكار الذهبي".

و كلاهما **محرم** لبسه في الإسلام على الرجال ، بل و حتى جلوسهم عليه و استنادهم إليه ، و قد ورد في الحديث الصحيح عن علي رضي الله عنه قال " ***رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ حريرا في يمينه و ذهبا فجعله في شماله ثم قال :إن هذين حرام على ذكور أمتي***"

- رواه أبو داود بإسناد حسن –

و قال صلى الله عليه وسلم : "***لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة***"

-- متفق عليه--

4 - Epée ← سيف
Cimeterre

- السيف هو نوع من السلاح معروف ، ذو نصل حديد ، و غمد يغمد فيه ، يستعمله المحارب في الحرب أو المعارك . جمعه سيوف ، أو أسياف و أسيف .
- و هو يوافق تعريف " Epée"

- Arme formée d'une longue lame d'acier aiguë , parfois triangulaire, mais le plus souvent à deux tranchants , emmanchée dans une poigné munie d'une garde , et que l'on porte au côté gauche dans un fourreau fixé a un ceinturon ou à un baudrier. (le trésor)

و هو بذلك الاسم العام**L'hyperonyme (terme générique) .**

- لقد أورد (CNRTL) لـ" épée" المرادفات التالية (أسماء):

Poignard, Flamberge, cimeterre , sabre , rapière , lame , dague , flambe , alfange , fleuret , glaive , arme blanche , latte , palanche , plommée , badelaire , bancal , rondelle , brand , spathe , fer , estramaçon , braquemart , brette , briquet , carrelet , claymore , colichemarde , coupe-chou , coutelas , coutille , croisette , espadon , estoc , estocade , yatagan .

كما يوجد في العربية ما ينيف على ألف إسم للسيف (و كل إسم له معنى" ذكرت في الروض المسلوف") و من أسماءه :

الصمصام ، البارقة ، الذالق ، الذكر ، المشمل ، صفيحة ، حسام ، المفقر ، القشيب ، الأرقب ، الدائر، بلارك ، الدوان ، الساذج ، مهند ، اللهذام ، فاروق ، عطاف ، صارم ، ديسق ، سطام ، ذو الفقار ، حذيم ، براق ، باتك ، باتر ، أثير ،هنداوي ، مهند ، ماضي ، فيصل ، فرند ، أبهر ...

- إن **"Cimeterre"** نوع من أنواع السيف كما ورد في قائمة أسماءه بالفرنسية .

نوع خاص عرفته موسوعة **Wikipédia** كما يلي :

Le nom de cimeterre, une arme de l'Orient, vient de l'italien << scimitarra>> lui-même du persan " shimshir ou Chamchir " sa lame courbe en fait un arme très particulière et elle requiert une approche totalement différente d'une épée normale. Si elle est considérée comme une des épées les plus connues et les plus terrifiantes de l'histoire cela provient du fait que les Arabes en ont fait usage dans nombre de leurs conquêtes.

le principal lieu de manufacture de ces lames est la Perse, Shamshir veut dire :¨queue de lion en persan .Sa période de pleine expansion sont les XVI , XVII, XVIII , XIX Siècle en Perse et dans l'empire ottoman. Utilisé avec bouclier circulaire par des cavaliers en coup de taille exclusivement . Il a survécu à l'apparition des armes à feu comme armes d'appoint pendant plusieurs siècles.

لقد ترجم "**Cimeterre**" في الرواية ب "سيف" في حين أن الكاتب تعمد ذكر النوع ونوع التسميات ، ولم يكتفي باللفظ العام(Epée) ، فكيف يعقل أن نكتفي في العربية التي تتباهى بأسماء السيف (ألف اسم) بالاسم العام؟

ثم إن "**Cimeterre**"(شمشير) سيف فارسي الأصل وقد ذكر القاموس الفرنسي أن هذا السيف الحاد قد استخدمته العرب في معارك عديدة وأثناء حكم الدولة العثمانية .

4-المسكـــــــــــــــــن

1 – بارونية← Baronnie

Terre seigneuriale, composée de plusieurs châtellenies, et conférant à son possesseur le titre de baron. En effet les terres des barons ont porté dès le XI siècle le titre de baronnie. Ces baronnies formaient une sorte de premier degré de subdivision féodale des duchés et des comtés.

En France, les baronnies étaient de deux types : la plupart étaient tenues par des membres de l'aristocratie militaire (les chevaliers) ; mais un petit nombre appartenait à des évêques ou des abbés en propre, à cause de leur fonction ecclésiale. Avec l'inflation de titre nobélien sous l'ancien régime, le titre de baron a souvent été remplacé par celui de comte ou de marquis. Les baronnies regroupées par héritage , ont été érigées dès le XVI siècle en comtés , marquisats et parfois duchés.

Aucun titre de baron français créé au XIX siècle ne correspond à une baronnie, ce titre de terre ayant été supprimé en 1789 . ***(Wikipédia)***

يتبن أن البارونية اقتباس من الفرنسية لـ**baronnie** التي تمثل مجموعة الأراضي التابعة للبارون وتشمل: **قصرا ،مجموعة أملاك** ،أحيانا **غابة** وثلاثون أو أربعون أرضا إقطاعية متفرقة ولكن تابعة له .والبارونية نوعان : التابعة لأرستقراطي عسكري (فارس)، أو التابعة لأسقف أو قس .

-وفي مجال العمران عرفت الحضارة الأوربية، التي شهدت تقسيمات اجتماعية وطبقية حادة، أنواعا وألوانا من البنايات الفخمة تعادل **القصر** في العربية من ذلك نذكر :

Château, palais,châtelet, castel, forteresse, pavillon, gentilhommière, krak, citadelle , bastille , bastide , donjon , château- fort , alcazar , comté , marquisat , duché.

2 – سراي← Sérail

- Maisonnée musulmane turque . **(Wikipédia)**

- Palais royal des sultans de l'empire ottoman **(Encarta)**

- أصله اللغوي:

من الاسم التركي**Saray** الذي يعني " قصر" أو " الساحة المغلقة".

"Topkapi Sarayi"و هو قصر اسطنبول، الذي كلن مقر السلطان.

- و من ثم فان**Sérail** مقتبس من الكلمة " سراي" التركية الإسلامية إلى الفرنسية، لأنها تعبر عن قصر السلطان العثماني و ليس سلطانا غيره، فاقتبست للإبقاء على خصوصيتها.

3 – منزل الضيوف→Hospice

Signifie quelquefois la partie d'un monastère destinée à loger les hôtes ou étrangers; quelquefois c'est un logement détaché du couvent, que les religieux bâtissent pour y recevoir les étrangers du même ordre, qui ont besoin d'y séjourner quelque temps. On entend encore par hospice, un lieu ou entrepôt que le monastère a dans quelque endroit qui en est éloigné, pour y retirer en passant les religieux qui vont pour les affaires du couvent.

(Encyclopédie ou Dictionnaire Raisonné Des Sciences, Des Arts Et Des Métiers).

- ترجم "**Hospice**" في الرواية ب " منزل الضيوف". و لكنه ليس منزلا كسائر المنازل، فهو تابع للدير، منزل يقيمه رجال الدين المسحيين لرجال الدين المسافرين لتأمين راحتهم، أو لقضاء عمل، أو شأن لهم بالدير. فهو إذن **" مضـــافة دينية".**

4 غرفة الانتظار → Antichambre

- Pièce d'entrée qui donne accès aux autres pièces (salon, salle à manger, chambre à coucher, cabinet de travail, cuisine,…)

- Pièce d'attente à l'entrée d'un hôtel particulier où se tiennent les domestiques chargés de recevoir et d'introduire les visiteurs.

في المنازل الأوروبية، تخصص غرفة لاستقبال الضيوف تسمى " غرفة الانتظار " يتم إدخال الزائر أو الضيف إليها إلى أن يتمكن من رؤية الشخص الذي قدم من أجله.

و أصلها اللغوي من الايطالية : "**Anticamera**" التي تعود إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر (XIV) فالسابقةAnti بالفرنسيةAnte تعني قبلdevant ، والجذر camera يعني " **Chambre** " ، غرفة.

لم تعرف العرب، مثل هذه الغرف ،لأن الضيف عندها يعامل أحسن معاملة و لا يترك في غرفة الانتظار، و إنما في القاعة الرئيسية . ويكرم العرب الضيف منذ دخوله المنزل، فيبجل حتى على أفراد البيت .

5- وحدات القيـــــــــــــاس

Une Livre -1

-Ancienne unité de poids variant de 380 à 552g suivant les régions. Aujourd'hui, demi Kilo (500 g) (Le Maxidictionnaire Encyclopédique)

-إن الليبرة هي وحدة قياس تعادل 500 غرام، لكن الخطأ الوارد في الرواية يجعل "Trois cent cinquante livres" (**350** ليبرة) في الفرنسية مقابل مئة و اثني عشر كيلو غراما في العربية . و هذا خطا حسابي لأن تقابلها في العربية " مئة و خمس و سبعون غراما " **"trois cent cinquante livres "**

(هو وزن البارونة الصحيح في الرواية)

.Kg 175 = 350/2 ⟵ خطأ في استعمال وحدات القياس .

Lieue.2

- Mesure de distance approximativement égale à quatre Kilomètre, en vigueur avant l'adoption du système métrique. (Le TRESOR)

يتبين أن (1) Lieue = 4 كيلومتر (أربعة كيلومترات).

- لكن الترجمة الواردة في الرواية لهذه الوحدة، جعلت مقابل **"deux lieues"** ⟵ "أربعة كيلومترات" **("** مشى حوالي أربعة كيلومترات..." في حين أن **"deux lieues"** تعني 'ثمانية كيلومترات' أي ما يعادل ضعف المسافة ،و هذا خطأ آخر في استخدام وحدات القياس القديمة.

Arpent.3

- Ancienne mesure de surface, qui selon les régions, allait de 20 à 50 ares.
- L'arpent commun de la France de 42.2208 ares.
- L'arpent de Paris de 34.1887 ares.
- L'arpent de Genève de 51.6610 ares.
- L'arpent du Québec de 34.2000 ares.

إن ترجمة هذه الوحدة القياسية تطرح إشكالية في العربية، إذ يجب معرفة أولا أية منطقة اعتمد قياسها ثم ترجمتها. و قد ترجمت ب " فدان" و هي وحدة، و إن كانت شائعة في المشرق العربي، فان أهل المغرب العربي يجهلونها و لا يستخدمونها، لأنهم يستخدمون " **الآر**" و **الهكتار**"باعتبارها الوحدة العالمية للمساحة

6-النقـــــــــــــــــــــود

1- فلورين → Florin

نقود ذهبية أو فضية ، تختلف قيمتها ، كانت تصك أولا في فلورنس منذ 1252 (و قد سميت كذلك نسبة الى (lys) زهرة الزنبق التي كانت تنقش على أسلحة البلد) ثم انتقلت بعد ذلك إلى المدن الايطالية الأخرى و بعدها النمسا ،و هولندا، و فرنسا، و ألمانيا . **(Le Littré)**

- أبقى العربية على اسم هذه العملة القديمة مقترضا ← فلورين

2- سكين→ Sequin

نقود بندقية ذهبية قديمة ، كانت مستخدمة في عدد من المدن الايطالية ، و كذا بلاد المشرق ، و كانت قيمته تقدر بالليرة **(en Livres)**.

كان يطلق على السكين اسم " **Ducat** " (دوكاتو) في عام 1283 , و صك من ذهب على نموذج الفلورين في فلورنس .

و كانت مرسيليا الأولى التي طلبت من ملك فرنسا الإذن بصكه من ذهب على طريقة القطع النقدية العربية و البيزنطية .

- 1534 السكين يعني عملة نقدية في البندقية .

- 1817 صارت هذه النقود تستعمل كحلية (للزينة) .

-ترجمت إلى العربية بالاقتراض .

3- ريال→ Écu

- في فرنسا، أطلقت هذه التسمية على نقود ذهبية ، ثم انطلاقا من حكم **لويس الثالث عشر**، صار لفظ " ريال أبيض" (écu blanc) يطلق على قطعة نقدية فضية كبيرة الحجم . و منذ سنة 1795، أطلق الريال (écu) على قطعة 5 فرنكات الفضية ، و ظلت كذلك إلى غاية 1878 .

- لقد استخدمت هذه الوحدة النقدية كعملة في بعض الدول العربية و أطلق عليها الريال .

(Le Trésor)

4- قرش→ Piastre

وحدة نقدية برونزية كانت مستخدمة في الهند الصينية الفرنسية ، و في تركيا .

- كذلك الريال المصري ، و الريال اللبناني ، و الريال السوري من أجزائها " القرش "

(Le Trésor)

5- فلس→Denier

وحدة نقدية قاعدية في الإمبراطورية العثمانية ، ثم فرنسا :

- في الإمبراطورية الرومانية القديمة، نقد فضي كان يعادل عشر آس " **as**".

- في أوروبا الغربية و فرنسا إلى غاية القرن التاسع عشر ، كان يعادل الفلس 1/12 من الدرهم .

(Le Trésor)

6- بيسولات→Pistole

- عملة نقدية قديمة استخدمت في كثير من الدول.

- في فرنسا ، كانت تعني الريال الاسباني(**l'écu espagnol**)، لأنها أي **(Pistole)** في القرن السادس عشر و السابع عشر كانت تصك في اسبانيا وايطاليا، و أصبحت في القرن الثامن عشر تعادل قيمة عشرة ليرات .**(Le Trésor)**

- ترجمت بالاقتراض لأنها ظلت بعيدة عن الدول العربية ، و كغيرها من غالبية العملات (إلا التي استعملت في العالم العربي و وجدت لها معادلا) فإن أسماء النقود عموما تقترض .

7- مرابطي → Maravédis

نقد اسباني نحاسي قديم ضئيل القيمة ، كان يتم صكه أثناء حكم المرابطين الإسلامي ، في كل من اسبانيا و المغرب ، خلال القرن الثاني عشر .

- لذا فإن أصله اللغوي عربي ، نسبة إلى مرابطي ،و منه " مرابطون " **(les Almoravides)**

(الأسرة المالكة التي حكمت المغرب و اسبانيا) ، و اقتبس الاسم و أدخل إلى اللغة الفرنسية .

- ظل هذا النقد مستعملا إلى غاية سنة 1848 م .

(Le Maxidico)

7-الفنـــــــون والآلات الموسيقية

1-مزمار→ Fifre

Fifre: instrument à vent, de la nature des petites flûtes; il y en a deux espèces, l'une qui s'embouche comme la flûte allemande, et l'autre qui est à bec. Il est percé de six trous, sans compter celui du bout ni celui de l'embouchure. Son canal est court et étroit, et ses sons vifs et éclatants.

Le fifre est une espèce de flûte qui sert au brait militaire, et qui rend un son fort aigu: il y en avait autrefois dans toutes les compagnies d'infanterie; mais il n'y en a presque plus aujourd'hui que dans ces compagnies de suisses; ce sont eux qui ont apporté cet instrument en France: il y était en usage dés le temps de François I.

(Encyclopédie ou dictionnaire Raisonné Des Science, Des Arts et Des Métiers).

- يندرج **le Fifre** ضمن الآلات الهوائية من جنس المزمار ، و لكنه مزمار صغير ، بستة ثقوب و قناة ضيقة و قصيرة. من مميزاته أيضا أنه يستعمل في المجال العسكري (عند فرق المشاة) ،كما أنه يصدر صوتا جد حاد .

- و قد ترجم إلى العربية بـ " مزمار" و لكنه في الحقيقة نوع خاص من المزامير ، و إن كانت العرب تستعمل لفظ مزمار مع كل أنواع المزامير فإن الأوروبيين قد ابتدعوا أنواعا عديدة ، أطلقوا عليها أسماء شتى ، و خصصوا لكل مزمار مجال استعمال :

Flûte à bec, flûte douce, flûte traversière, grand flûte, piccolo(petite flûte), flûte à l'oignon, flûte de Pan, flûteau.

و إذا ذكرت هذه الأنواع مجتمعة في نص يتحدث عن فن نفخ المزمار، و أنواعها ، فإننا سنعجز عن ترجمتها إلى العربية باللفظ العام " مزمار " .

2- بوق → Trompette

- Instrument à vent de sonorité éclatante et brillante, muni d'une embouchure et formé d'un tube légèrement conique évasé en pavillon.

و من أنواعها:

*** trompette simple ou trompette de cavalerie:**

آلة هوائية نافخة من عائلة **Les cuivres** تتكون من أنبوب أو قصبة ملتوية حول نفسها.

-وتستعمل هي الأخرى في المجال العسكري

-Trompette d'armonie ou à piston :

وهي آلة جوقة(**instrument d'orchestre**) تتألف من قصبة ملتفة حول نفسها وثلاثة مكابس(**pistons**)

-من أنواعها كذلك **Cornet, cuivre, trompe, trombire, coaquillage, clairon, bugle, buccin, cor**

- وكل هذه الأنواع هي " أبواق" فكيف نفرق بينها إذا استخدمنا لفظ "بوق"لها جميعا ؟
- ولقد طرحت هذه الإشكالية في الرواية فلما حدث، أن نوع كاتب النص الأصلي ،في الآلات الموسيقية لم تتمكن الترجمة من ترجمتها كلها فأغفلت بعضها مثل **hautbois.**

3- (لم يترجم)? → Hautbois

Hautbois: instrument à vent en bois ,à anche double, de perce conique qui donne un son haut et clair. Il est composé de quatre parties, la première est la plus étroite, reçoit l'anche et percée de trois trous 1,2,3,la seconde est percée de cinq trous 4,5,6,7,8,et garnie de deux clés ,la troisième, plus grosse que les autres ,se termine par un pavillon semblable a celui de la trompette ou du cors. Cette pièce est percée de deux trou "9" ces trous ne ferment jamais, distance détermine le ton de l'instrument.
Le hautbois est percé dans toute sa langueur comme les flûtes, avec cette différence, que leur trou s'élargit de plus en plus du coté de la patte.

للتدقيق أكثر ،كان بإمكان الترجمة أن توضح أكثر أي نوع من الآلات الهوائية استخدمت.
"كانت الأبواق العادية وأبواق ذات لسان وثقب مخروطي بتسع مفاتيح والمزامير الصغيرة والطبول والمدافع تشكل مع بعضها إيقاعا....."(ص45)

4- موسيقى تسبيحة الشكر→ Te deum

في الديانة المسيحية تعرف ال **deum Te** ب:

-Hymne qui se chante à la fin des matins, les dimanches et jours de fête et extraordinairement, à l'occasion de cérémonies solennelles (célébration d'une victoire, d'une paix conclue, sacre d'un évêque ou d'un roi,….)pour louer dieu et lui rendre grâce. (Trésor)

أصله اللغوي؛ يرجع إلى القرن**XVI** ، من العبارة اللاتينية **"Te Deum Laudamus"** والتي معناها بالفرنسية حرفيا **'Toi qui es dieu nous te louons'** (يا الهي لك الحمد)، ثم صارت تعني الاحتفال الذي يصاحب هذا النشيد.

وترجم معناها إلى العربية بالمعنى(أي أنها ترجمت بالمعنى) ***نشيد***(وليس موسيقى) ***تسبيحة الشكر***

Idylles-5

"Petit poème du genre bucolique ou pastoral,proche de l'églogue,qui a pour sujet les amours des bergers" (Le trésor)

الأصل اللغوي

- سنة 1555 **idilie** تعني"قصيدة رعوية صغيرة"نسبة إلى الاسم الإغريقي" **idilies**" الذي يطلق على على كل شاعر فذ تماما ك **"Eglogues"**(قصائد رعوية على شكل حوار)

- سنة 1851صارت**Idylle** تطلق على" الحب العفوي والرقيق"

ومن ذلك نتجت**Idylle** التي تعني "نوعا من القصائد الرعوية الغزلية منظومة على شكل حوار ومقفى جيدا". لهذا فقد ترجمت إلى العربية شرحا، لأن هذا النوع من القصائد لا وجود له في شعر العرب.

8-الدين والمعتقدات الفلسفية

1- سوسيني→socinien

السوسيني هو الشخص الذي يتبع السوسينية كمذهب **(Le socinianisme)**

ويعرف قاموس**Le t résor** هذا المذهب ب:

مذهب ديني ،أدانته الكنيسة ،ظهر في أواخر القرن السابع عشر وتأسس على تعاليم **ليليوسوسان (Lelio socin)** التي طورها ابن أخيه فوستوسوسان**(Fausto socin)** ، ينفي هذا المذهب أركان الثالوث**(la trinité)** ، التجسد **(l'incarnation)** ، وألوهية المسيح.

فهو إذن مذهب مسيحي موحد لله(unitaire).

- لا يتوضح كل ذلك عند ترجمة لفظ "socinien" باقتراضه (سوسيني)،خاصة وان الرواية تشير إلى صراعات بين السوسنيين ورجال الدين،فلا يفهم القارئ مباشرة (يتعذر عليه فهم) السبب ولهذا فان كلمة "سوسيني"يمكن تعويضها بترجمة أخرى أكثر إفهاما واقرب إلى أداء المعنى فنقول" موحد" و للتوضيح أكثر نقول"مسيحي موحد"

2- مانوي→ Manichéen

من كان من أنصار مذهب ماني **(Mani)**، والذي يعرف بالمانوية**(Manichéisme)**

ويقوم هذا المذهب على رؤية مبسطة للأمور،وعلى الحكم الواضح البين الذي لا يقبل التأويل،فهو يرى في الأشياء ،إما خيرا أو شرا،ولا وجود عنده لنظرة بينية، فقط "نعم" أو "لا". إذن فهو مذهب ثنائي **(Dualiste)**

-نحتاج في ترجمة هذا المذهب إلى إضافة ملاحظة تفسيرية خارج النص يشرح فيها ما سبق لأن الاقتراض لا يقدم الكثير للقارئ.

3- جنسيني→Janséniste

الجنسيني هو معتنق الجنسينية **(Le jansénisme)**

- الجنسينية ،نسبة إلى مؤسسها جانسينوس **(Jansénius)** ،الذي أثار حركة دينية وفكرية دينية متزمة، أدانتها الكنيسة واعتبرتها كفرا. فهو يؤمن بالنعمة الإلهية**(la grâce)** وبالقدر وجبرية الأحداث، وعليه يقول أنه بغض النظر عن حرية الإنسان، وما يستحقه، فإن نعم الله وآلاءه تمنح فقط لمن تم اختيارهم منذ ولادتهم، لأن يحظوا بها.

- عرف هذا المذهب بالصرامة والتشدد في ما يخص الأخلاق، والمبادئ،وتطبيقها، وبعدم مرونته في منح العفو والرحمة .

- ومرة أخرى لا يقدم الاقتراض شيئا كثيرا ،فلا مناص من إضافة ملاحظة تفسيرية.

4- مولينى → Moliniste

(Molinisme) هو الشخص الذي يعتنق المولينية

والمولينية ،مذهب مولينا لويس(**L-Molina**) شيوعي اسباني،وأستاذ اللاهوت بجامعة ايفورا

ظهر هذا المذهب في النصف الثاني من القرن السادس عشر بهدف التوفيق بين نعمة الله وحرية الإنسان فهو يقول بان نعمة الله تميل للإنسان ولكنها لا تغصب حريته ولا تسلبها.

- لاقى هذا المذهب هجوما شرسا من قبل الدومنيكيين من رجال الدين وأحالوه الى محكمة التفتيش **(L'inquisition)**ثم صار بعدها يدرس كاتجاه حر في المدارس لكنه وجد في طريقه أندادا كثيرا من بين الجنسنيين أنفسهم وكذا من المدارس الكاثوليكية.

(encyclopédie ou dictionnaire raisonné Ses sciences des Arts et des Métiers)

يستحسن أن يقف القارئ على الفروق التي تميز بين المذاهب السابقة ،حتى وإن كان ذلك على شكل ملاحظات وهوامش خارج النص فأهمية تلك الملاحظات عظيمة.

-بدل أن تستعمل المترجمة (مترجمة رواية كانديد) معجما ثنائيا للكلمات، كان أولى وأكثر نفعا أن يتم وضع معجم للملامح والبيئة السوسيوثقافية ،ينير فهم القارئ للمجتمعات أو الثقافات من جهة ،وتزيد من رصيده المعرفي العام.

خاتمة

بنهاية الفصل التطبيقي و كذا الفصلين السابقين له ، يصل بحثنا الحالي إلى خاتمته.

أسأل الله أن أوفق فيه و لو بقطرة تضاف إلى بحر المعرفة الجامع المتلاطم الأمواج . فالضفر و لو كان في فم الأماني حلو، يا ليت لنا به قلامة ظفر.

ورغم كل الصعوبات التي واجهتني خلال إنجازه و الجهد المبذول فيه ، أدرك تماما أنه ككل عمل، تشوبه شوائب وتعتريه نقائص . و لا أنكر في المقابل أن التجربة كانت مفيدة و فتحت عيني على أمور عدة أهمها أن المتخصص في الدراسات الترجمية لا ينحصر في هذا التخصص؛ بل تمتد عنايته واطلاعه إلى الدراسات الأدبية والفكرية والإنسانية الأخرى؛ فهو يتنقل في حقول المعرفة والفكر، ويمتص رحيق الأزهار بألوانها وأشكالها المتنوعة.

قائمة المراجـــــــــــــع

أولا:باللغــة العربيـــــة

1-الكتب

1- أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق(في الجزائر والعالم العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981

2- أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الإسكندرية، 1985

3- أحمد ماهر البقري، اللغة والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ت39476

4- جون نيف، الأسس الثقافية للحضارة الصناعية، ترجمة محمود زايد، دار الثقافة، بيروت، 1962

5- جيمس هارفي روبنسون، الحضارة، ترجمة علي إسلام، مطبعة مصر، القاهرة، 1965

6- الطاهر لبيب، سوسيولوجية الثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،1978

7- عاطف وصفي، الأنثربولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر، 1975

8- عثمان أمين، اللغة والفكر، محاضرات معهد الدراسات العربية العالمية، 1967

9- عبد الرحمان البزاز، هذه قوميتنا، دار القلم، القاهرة، د.ت

10- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار أحياء الكتب العربية، ج1، د.ت

11- عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000

12- عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، دار العلوم للطباعة، 1974

13- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، 1971

14- علي عبد الواحد وافي، الأسرة والمجتمع، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط 06

15- عبد العزيز عبد الحميد، اللغة العربية، دار المعارف،1961، ط3، ج1

16- عبد القادر الكرماني، اللغة والتجدد، المطبعة العلمية، حلب، 1938

17- فارس خليل، التطور الثقافي في مجتمعنا الاشتراكي، مكتبة القاهرة الحديثة، 1960

18- محمد السعران، اللغة والمجتمع، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1958

19- محمد عطية الابريشي، لغة العرب وكيف ننهض بها، مكتبة النهضة المصرية، 1947

20- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني المدخل إلى علم الاجتماع، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1967

21- مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970

22- معن زيادة، معالم عن طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت، رقم 115، 1987

23- نصر محمد عارف، " الحضارة- الثقافة- المدنية "، سلسلة المفاهيم والمصطلحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994

24- ول ديورانت، قضية الحضارة، ج1 ،: نشأة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1956

2-المقالات والمجلات:

- أحمد طالب الإبراهيمي، مقال بعنوان" الثورة الثقافية والتعريب "، منشور في مجلة **"الأصالة"**، العدد (17)، نوفمبر1974

- جان فريمون، تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية، **مجلة الفكر العربي المعاصر**،العدد(29)، بيروت 1983

- صغور أحلام، الترجمة الأدبية بين الأسر والتحرر، مجلة المترجم، العدد10 ، جويلية- ديسمبر 2004

3- المعاجم والموسوعات:

- القاموس المحيط.

- لسان العرب، ج10.

- معجم اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط ، ج1

ثانيا بالفرنسية و الانجليزية

1- Ouvrages :

1-Antoine BERMAN, L'épreuve de l'étranger, Culture et traduction dans l'Allemagne romantique, HERDER GOUTHE SCHLEGEL NOVALIS HUMBOLDT SCHLEIERMACHER HöLDERLIN, Paris, Gallimard, 1984

2- Antoine BERMAN, Pour une critique des traductions : Jhon Donne, Paris,Gallimard, Coll. « Bibliothèque des idées », 1995

3- Black M., « Linguistic Relativity : the Views of Benjamin Lee Whorf », Manners, Robert and Kaplan, David, Theory in Anthropology, London : Roultedge end Regan Paul, 1968

4- Annie BRISSET, sociocritique de la traduction : Théâtre et altérité au Québec (1968-1988). Longueil, Le Préambule, 1990

5- Denys CUCHE, La notion de culture dans les sciences sociales, Paris, Editions La découverte, Coll. Repères, N°205, 1996

6- Gao, E. et Cao Xuegin Hong lou Meng, Beijing : Renmin Chubanshe, 1974. Le reve dans le pavillon rouge traduit par Tcha houa et Alezaïs, J., Paris : NRF, Gallimard, 1981 ; A Dream of REd Mansions, traduit par Yang-Yi et Yang, G , Beijing : Foreign Languages Press , 1978

7- Kroeber, and Kluckhon G. , Culture : A. Critical review of concept and definition, Harvard

8- Jean- René LADMIRAL, traduire : Théorèmes pour la traduction, Paris, Payot, 1979

9- Henri MESCHONNIC, Poétique du traduire, Editions, Verdier, II 220, LAGRASS, 1999

10- Jeorge MOUNIN, Les problèmes théoriques de la traduction, Editions Gallimard, 1963

11- Eugène NIDA, Linguistic and Ethnologie in translation problems, Word, 1945

12-Rao RAJA, Kanthapura, New York : New Directions, 1938

13-Philippe RAPATEL, These translators are crazy ! , ou l'art de traduire Astérix, Langues et cultures en contact, traduire e(s)t commenter, « recherche en linguistique étrangère », XXII, Presses Universitaire Franc - Comtoises, 2002, Diffusé par « Les Belles lettres », Paris

14-Paul RICOEUR , Temps et récit, tome I , Paris :Seuil, 1983

15- Danica SELESCOVITCH, Interpréter pour traduire, Paris, Didier, Publication de la Sorbonne, 1984

16- Vikram SETH, A suitable Boy, Londres, Phoenix, 1993

17-- Vikram SETH, Un garçon convenable, traduction de F. Adelstain, Paris ; Grasset,1995

18- Hwang SUN-WON, La chienne de Moknomi, traduit du Coréen par Choi Mi-Kyung, Ko Kwang-Dan et Jean-Noël Juttet, Par : Zulma, 1995

19-Ngugi Wa THIONG'O, Decolonizing the Mind, The politics of language in African Literature, Londres : James Curey, 1986

20-Gideon TOURY, The Translator as a Nonconformist -to –be. Or How to Train Translators so as violate Translational Norms, Angemandte, Provisen , S.A and Wilss, W. Editon, Arhus, Danemark, 1980

21- Tylor, EB, Primitive Culture, New York, Brentano's, P.1, 1924

22- Wang YUELEN, « De la coupe du nez et de l'œil » à la ocnservation de l'exotisme, 1984, Essaie de Traduction, rédigé par Luo XINZHANG, Presse commeciale

2-Articles et Revues

1-Michel BALLARD, De Cicéron à Benjamin, Traducteurs, traductions , réflexions, Lille, Presse Universitaire de Lille, 1992, Meta, XXXVIII,3,1993

2-Şebnem BAHADIR, Moving In-Between :The Interpreter as Ethnographer and the The Interpreting-Researcher as Anthropologist, Boğaziçi University, Istanbul, Turkey, Meta, XLI, 2004

3-Pier- Pascal BOULANGER, L'épistémologie cinétique de la traduction : Catalyseur d'étique, Université Concordia , T.T.R : Traduction, Terminologie, Rédaction, Volume 17, Numéro 2 , 2ème Semestre, Traduction, éthique et société

4-Annie BRISSET, L'Identité Culturelle de la traduction : En réponde à Antoine BERMAN, PALIMPSESTES , N°11, Traduire la culture, Université ParisIII- Sorbonne Nouvelle, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1998

5- Hélène BUZELIN ,La traductologie- l'ethnographie et la production des connaissances, Université de Montréal, Canada, Meta, XLIX, 4, 2004

6- Jean-Louis CONRDONNIER, Aspects Culturels de la traduction : quelques notions clés, Université de Franche- Comté, Besançon, France , Meta, XLVII, 1, 2002

7- Jean Claude GÉMAR, la traduction est- elle civilisatrice ? fonctions de la traduction et degrés de la civilisation, Université de Montréal, Montréal, Canada, Meta, XXXV,I,1990

8- Naïm KATTAN, Peut-on traduire les civilisations ?, Colloque de Glendon, 1980, Meta, XXVII, 4

9-Jean-René LADMIRAL, « Entre les lignes , entre les langues », Revue D'Esthétique, 1, Nouvelle série , Toulouse, 1981

10-Jean-René LADMIRAL, le prisme interculturel de la traduction, PALIMPSESTES , N° 11,Traduire la culture, Université paris III- SORBONNE NOUVELLE, Presses Universitaires de la SORBONNE NOUVELLE, 1998

11- François LAPLANTINE, L'ethnologue- le traducteur et l'écrivain, Université Lumière- Lyon 2, Lyon, France, Meta, XL , 3, 1995

12-Marianne LEDERER, traduire le culturel : la problématique de l explicitation, PALIMPSESTES, N° 11, Traduire la culture, Université Paris III Sorbonne Nouvelle, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1998

13-Gaouaou MANAA, A propos de la traduction … Traduction et différences culturelles, Université de BATNA , AL- MUTARĞIM , N° 10, Juillet- Décembre, 2004

14-Jean- Pierre RICHARD, Traduire l'ignorance culturelle , PALIMPSESTES, N° 11, Traduire la culture , Université PARIS III- Sorbonne Nouvelle, Presses de la Sorbonne Nnouvelle, 1998

15-PAUL ST–PIERRE, Translating Cultural difference : Fakir Mohan SENAPATIS chha Mana Atha Guntha, Université de Montréal , Canada, Meta , XLII , 2, 1997

16- Jean SÉVRY , Une fidélité impossible, Traduire une œuvre africaine anglophone , PALIMPSESTES,N° 11, Traduire la culture, Université Paris III – Sorbonne – Nouvelle, Presses de la Sorbonne Nouvelle , 1998

17- Carmen VALERO- GARCÉS , Mode of Translating Culture : Ethnography and Translation, University of Calá de Hemares , Madrid, Spain and University of Minnesota, Minnecapolis , USA Meta , XL, 4 , 1995

18- ZHANG XINMU, les signes sociaux et leur traduction , Université de Nankin , chine , Meta , XLIV, 1, 1999

3-Dictionnaires et Encyclopédies

1-Gilbert Highet, The Classical tradition, New York et Oxford, University press, A Galaxy Book

2-Le Littré, Dictionnaire encyclopédique de la langue Française

3- La Maxidico, Dictionnaire encyclopédique de la langue Française, Edition de la Connaissance, 1996, Nouvelle Edition, 1997

4-Oxford Advanced Learner's Dictionnary, International Edition

4-Sites WEB :

1- http : //www. lexilogos.com

2- http:// portail .atilf .fr

3- http:// fr .wikipedia.org

4- http://www.larousse.fr / encyclopedie

5- http://fr. encarta . msn .com

6-http:// www. quid .fr

7-http:// www. cosmovision .com

8- http://www. cnrtl. fr

9- http : // agora. qc.ca

10-http :www.universalis.fr /

11- www. oup. Com/ ett/ oald

5-Dictionnaires en ligne

1- Le trésor de la langue Française

2- Encyclopédie ou dictionnaire Raisonné Des Sciences, Des Arts et des Métiers